موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

أحاديث رمضان

أحاديث رمضان ١٤١٨

الشمائل

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (١ – ٩) : أخلاقه العامه وتعامله مع أصحابه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون... مع الدرس الأول من دروس السيرة في رمضان، السيرة نوعان ؛ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه الكرام، الذين شرفهم الله به، واختارهم له صلّى الله عليه وسلم، لأنّه قال في الحديث الصحيح:

إنّ الله اختارني، واختار لي أصحابي.

فسيرته، وسيرة أصحابه هما فرعا السيرة الأساسية، أما السيرة إما أن تكون شمائل، وإما أن تكون وقائع، فهناك كتبٌ في السيرة تمضي في الحديث عن ولادته، ثم طفولته، ثم شبابه، ثم البعثة، ثم الهجرة.. إلى آخر السيرة.

وهناك تآليف من نوعٍ آخر تتناول صفاته صلى الله عليه وسلّم، شمائله، رحمته، عدله، توكُّله.. إلى آخره.

نحن في هذا الشهر الكريم نختار من السير سيرة رسول الله، ونختار من نوعي السيرة، شمائله اللهم صلّى الله عليه وسلّم، لكن قبل أن نمضي في الحديث عن شمائله، لا بدّ من كلمة.. لعل مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التي أناطها به مهمّتان.. مهمة التبليغ، ومهمة القدوة، وحجم مهمة القدوة كبيرٌ جداً لأنّ المبادئ لا تعيش في الكتب، تعيش في الأشخاص، فإذا أصبحت المبادئ في الكتب انهارت، وانتهت، فأخطر ما في المبادئ والمثل أن تجسَّد في أشخاص، فإن بقيت أفكاراً مسطورةً في الكتب هذه سرعاناً ما تموت، لذلك:

حال رجلٍ في ألف، أفضل من ألف قولٍ في رجل.

أي ألف إنسان يتكلّمون بواحد لا يؤثِّرون فيه، وواحد بمثاليّته، واستقامته، وخلقه الرفيع يؤثّر في ألف، أي أن ألفٍ لا يؤثِّرون في واحد، لأنه فكرٌ فقط، وواحد يؤثِّر في ألف لأنه فكر وتطبيق، والذي جاء به الأنبياء، والذين تركوا آثار صارخة في المجتمعات، هم أنّهم تكلّموا بألسنتهم ما فعلوه في حياتهم.

النقطة الثانية.. أكبر مهمة للنبي اللهمّ صلّي عليه أنّه قدوة:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً(٢١)﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٢١ ")

ما الذي جعل الإسلام يتغلغل في القلوب ؟ هو أنّهم رأوا رأي العين الكمال مجسداً فيه صلّى الله عليه وسلّم، رأوا بأعينهم رأفته، رحمته، عدله، إنصافه، تواضعه، خوفه من الله توكُّله عليه، هذه

المبادئ لم يقرءوها، ولم يستمعوا إليها، بل عاشوها، وهذا الذي جعل من الإسلام ينتشر في الخافقين، والذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، تطبيق مبادئه، وإذا صحَّ أن نقول: إذا جاء على الإسلام وقتٌ يخرجون من دين الله أفواجا، بسبب عدم التطبيق، بسبب أن الإسلام أصبح شعارات، وشعائر، وثقافات، وانتماءات، وعصبيِّات.

النقطة الثانية في الموضوع.. فالسيارة مثلاً، لها صفات كثيرة، لكن أبرز صفاتها أنّها تسير، أما لونها، عدد أبوابها، شكلها خطوطها، هذه صفات، لكن أبرز صفة في السيّارة أنّها تسير، فإذا ألغيت سيرها، ألغيت وجودها.

أبرز صفة في الطائرة أنّها تطير، فإذا جعلتها مطعماً.. نسميها مجازاً طائرة، أما هي الآن ليست طائرة، إن ألغيت الطيران ألغيت وجودها.

أبرز صفة في المؤمن.. أخلاقي، فإذا تخلّى عن أخلاقه، لا قيمة لكلِّ صفاته، لو أدرجت ألف صفةٍ من صفاته، وألغيت أخلاقيّته انتهى الإيمان، وانتهى الإسلام، أصبح الدين تراث، وتقاليد، وعادات، وفلكلور، وانتهى الإسلام، إن ألغيت الأخلاق.. لذلك:

الدين حسن الخلق.

أكثر من عشر أحاديث صحيحة في البخاري ومسلم تؤكِّد أن الإيمان حسن الخُلق، أنَّ الإسلام حسن الخلق، أن أقرب شيءٍ إلى رسول الله هم الأخلاقيّون.. أن المؤمن يألف ويؤلف... وهكذا.
الآن أذكر لكم بعض الأحاديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأبدأُها بقصةٍ جرت بينه، وبين سيدنا عبد الله بن جابر، طبعاً هذه القصة تصوِّر مودّته صلّى الله عليه وسلّم، تصوِّر رفقه بأصحابه، اهتمامه بمشكلاتهم، تواضعه لهم، مؤانسته إيّاهم..

عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة ذات الرِقاع، مرتحلاً على جملٍ لي ضعيف، فلمّا رجع النبي صلّى الله عليه وسلّم، جعلت الرِفاق تمضي، وجعلت أتخلّف عنهم – طبعاً لأن جمله ضعيف –، حتى أدركني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – رسول الله يمشي في آخر الركب ليتفقّد أصحابه–، فقال:

ما لك يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال: فأنخه، وأناخ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، ففعلت، فأخذها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

فنخس بها الجمل نخسات.. أي ضرب بها الجمل ضربات.. – النخس فيه رفق وليس ضرباً، فمعناها أنّه وكزه بها –، ثم قال: اركب. فركبت، فخرج، والذي بعثه بالحق صار جملي يجاري ناقة رسول الله، وتحدَّث معي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال:

أتبيعُني هذه الجمل، أتبيعُني جملك يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعنيه – لا بل شراء –. قلت: فسُمني به – أي هات ثمنك –. قال: أخذته بدرهمٍ. قال: لا، إذاً يغمضني رسول الله – معقول بدرهم ؟ فهو اللهم صلّي عليه يداعبه –. قال: فبدرهمين. قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتى بلغ الأوقيّة.. قلت فقد رضيت – أي معقول هذا السعر فباعه له –. قال:

قد رضيت. قلت: نعم. قال: هو لك. قال: قد أخذته. ثم قال لي: يا جابر هل تزوَّجت بعد ؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أثيِّباً أم بكراً ؟ قلت: بل ثيّباً. قال: هلاّ تزوَّجت بكراً !!. قلت: يا رسول الله إنّ أبي أصيب يوم أحد، وترك بناتاً له سبعاً، فتزوَّجت امرأةً جامعةً تجمع رؤوسهن – أي امرأة ناضجة يمكن أن تدير هذه الأسرة –، وتقوم عليّهن. قال: أصبت إنشاء الله. قال: أما إنّا لو جئنا صراراً – مكان خارج المدينة، أمرنا بجزورٍ فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا –أي أهلك، وأهلنا سمعوا بنا – فنفضت نمارقها – فالمرأة حينما تسمع أن زوجها على وشك الحضور من سفر، تنفض نمارقها، تهيئ بيتها، تنظِّف أولادها، تهيئ نفسها أيضاً، تتزيّن، وهذا من السنة، وكان عليه الصلاة والسلام لا يفاجئ أهله إذا كان في سفر، يقيم خارج المدينة يوم، كي يعلم أهل المدينة برجوع الركب فتتهيّأ كل امرأةٍ لزوجها –.

قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق – ليس لدينا أثاث لتنفضه زوجتي،– فقد كان شديد الفقر –. قال: إنّها ستكون إنشاء الله، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّساً – أي تحرّك، و اسعى في طلب إصلاح معيشتك –. قال: فلما جئنا صراراً، أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بجزورٍ فنحرت، فأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل ودخلنا، قال: فأخبرت امرأتي الحديث، وما قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قالت: سمعاً وطاعة – لأنّه قد باع جمله لرسول الله وهو لا يملك غيره –.

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخت على باب رسول الله، ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم فرأى الجمل، قال: ما هذا ؟ قالوا: يا

رسول الله هذا جملٌ جاء به جابر، قال: فأين جابر ؟ فدعيت له، فقال: تعال يا ابن أخي، – أنظر إلى هذا التحبُب: تعال يا ابن أخي –، خذ برأس جملك فهو لك، و دعى بلالاً فقال: اذهب بجابر فأعطيه أُوقيّةً من الذهب.

فالقضية مداعبة ومؤانسة.. قال له: بعنيه بدرهم. قال: تغبنني إذاً بدرهم. فما زال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يزيده درهمين وثلاثة ويرفع الثمن إلى أوقية من الذهب، ثم قال هو لك، وأمر بلالاً فقال: اذهب بجابر فأعطيه أوقيَّةً..

فذهبت معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً، فو الله ما زال هذا المال ينمو عندنا، ونرى مكانه في بيتنا.

سيّد الخلق، سيّد الأنبياء، قائد هذا الجيش العظيم، زعيم هذه الأمة.. مقاتل ضعيف، فقير، شاب أبوه توفّي مستشهداً في أحد، فالنبي يمشي معه، وينخس جمله، ويؤنسه، ويداعبه، ويشتري منه الجمل، ويساومه، ثم يهبه له، ويسأله عن زوجته، ويقول له: هلاّ بكراً ! يقول له: توفي أبي في أحد وعندي سبعة أخوة، وقد أخذت امرأة جامعةً تجمع رؤوسهم.. قال: قد أصبت.

هذه المؤانسة واللطف هذه من شيم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأذكّركم مرةً ثانية.. أن أهم صفة في السيارة أنّها تسير، فإذا أُلغي سيرها أُلغي وجودها، وأهم صفة بالمؤمن أنّه أخلاقي، فإذا ألغيت أخلاقه ألغيت وجوده، وانقلب الإسلام إلى تُراث، كان دين يجمع هذه الأمة، انقلب إلى تراث، فحينما نتخلّى عن الأخلاق التي جاء بها النبي نتخلّى عن أهم شيءٍ في هذا الدين.. ما قيمة الصلاة الجوفاء، وما قيمة العبادات الشعائرية التي تخلو من الخشوع – لعدم وجود الالتزام –، وأوضح مثل عندما سأل النجاشي سيدنا جعفر عن الإسلام فقال له:

كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأتي الفواحش، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده، ونوحِّده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والكفِّ عن المحارم والدماء.

ومن شمائله.. يقول:

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً.

وقال أنس بن مالك:

خدمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قط.

كلمة أف من قائد إلى خادمه ما قالها، من قائد أمّةٍ إلى خادم..

خدمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قط، وما قال لي لشيءٍ صنعته: لما صنعته، ولا لشيءٍ تركته: لما تركته، وكان عليه الصلاة والسلام من أحسن الناس خُلُقاً، ولا مسست خزّاً قط، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

حديث آخر لأنس:

خدمت النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين وأنا غلامٌ، ليس كلُّ أمرٍ كما يشتهي صاحبه يكون، فما قال لي:

أفٍّ قط، لما فعلت هذا، أو لما لم تفعل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب، فخرجت حتى أمرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي عليه الصلاة والسلام، قد قبض بقفاي من ورائي، وقال: نظرت إليه وهو يضحك، قال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك ؟ قال: نعم.. أنا ذاهبٌ يا رسول الله.- أي في رقة ولطف، فأمره ولم ينفِّذ الأمر وضبطه يلعب مع الصغار-، فقال له: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك ؟ قال: نعم.. انّا ذاهبٌ يا رسول الله.

وقال أنس أيضاً: وخدمت النبي سنين، فما سبَّني سُبّةً قط، ولا ضربني ضربةً، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمرٍ فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال: دعوه.. فلو قدِّر شيئاً لكان.

وعن أنسٍ أيضاً قال:

خدمت النبي صلّى الله عليه وسلّم تسع سنين، فما قال لي لشيءٌ أسأت:

أسأت، ولا بئس ما صنعت. وكان إذا إنكسر الشيء يقول:

قضي. أي إنتهى أجله.

وعن عائشة قالت: ما كان أحدٌ أحسن خلقاً من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ما دعاه أحدٌ من أصحابه، ولا من أهل بيته إلا قال:

لبّيك.

فكما قال بعضهم في مديحه .. كلمة لا.. لولا التشهُّد كانت لاؤه نعم، أي أنه لم يقل لا إطلاقاً في حياته.. تقول السيدة عائشة:

ما دعاه أحدٌ من أصحابه، ولا من أهل بيته إلا قال: لبّيك.. فلذلك أنزل الله تعالى:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾

(سورة القلم: آية " ٤ ")

وقال أحد الصحابة الكرام:

دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أمّ المؤمنين، ما كان خلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالت:

كان خلقه القرآن.. ثم قالت: أتقرأون سورة المؤمنين ؟ قلنا: نعم. قالت إقرأُه، فقرأت:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾

(سورة المؤمنون: آية " ١، ٢)

حتى قالت:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)﴾

(سورة المؤمنون: آية " ١٠)

فقالت:

هكذا كان خلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

كنت ألعب باللّعب، فيأتينا صواحبي، فإذا دخل النبيُّ الكريم فزغن منه، فيأخذهنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيردُّهن علي.

أي كان للسيدة عائشة لعب تلعب بها مع صواحبها، فكان يجمع هذه اللُعب ويقدِّمها ثانيةً للسيدة عائشة.

وأيضاً السيدة عائشة تقول:

ما ضرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأةً.

أي أن هؤلاء الذين يضربون زوجاتهم، لو أنّهم اقتدوا برسول الله.. ما ضرب خادماً ولا امرأةً قط في حياته.

أيضاً السيدة عائشة تقول:

والله لقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقوم على باب حجرتي والحبش يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسترني بردائه لأنظر إلى لُعَبهم بين أذنه وعاتقه، ثم يقوموا من أجلي، حتى أكون أنا الذي أنصرف.

أي كان يهتم بسن الصغار، فقد تزوّجها صغيرة، فكان يسمح لها أن تنظر إلى بعض اللُعب إلى أن تمل هي.

سيدنا عبد الله بن عمر كان يقول:

إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يكن فاحشاً، ولا متفحِّشاً، وكان يقول:

خياركم أحاسنكم أخلاقاً.

ولم يكن النبي صلّى الله عليه وسلّم فاحشاً، ولا متفحِّشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، ولكن يعفو ويصفح، ولم يكن سباباً، ولا فحّاشاً، ولا لعّاناً، وكان يقول لأحدنا عند المعتبة:

ما له تربت جبينه ؟

فهذه الكلمة أشد كلمة قالها في حياته، تربت جبينه أي لاصقت التراب، وكأن الإنسان قد تيمم، هذه الكلمة التي كان يعاتب بها أصحابه.. ما له تربت جبينه ؟

آخر صفة من صفاته العالية تقول السيدة عائشة أيضاً:

ما رأيت رجلاً أكثر إستشارةً للرجال من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

يسأل اصحابه يستشيرهم تواضعاً منه لهم.

اليوم ذكرنا أخلاقه بشكل عام، وإنشاء الله كل درس من دروس رمضان في السيرة، نأخذ جانباً من أخلاقه.. وأمثلة من موضوعات الدروس القادمة إنشاء الله.. شيء عن رحمته، شيء عن عدله، شيء عن محبّته لأصحابه، شيء عن إنصافه.. إلى آخره، والحمد لله رب العالمين. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضى عنا، وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمّي، وعلى آله وصحبه وسلّم

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٢ – ٩) : الحلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام... مع الدرس الثاني من دروس السيرة النبوية، ومع شمائل النبي صلّى الله عليه وسلّم، ومع أبرز شمائله وهو الحلم.. وقد قيل:
كاد الحليم أن يكون نبياً.
وقيل:
الحلم سيّدُ الأخلاق.
ولو أردنا أن نفلسف الحلم قبل أن نقرأ شيئاً من شمائل النبي.. الحلم أساسه اتصال بالله، ومع الاتصال بالله رحمةٌ يمتلئ بها قلب المسلم، هذه الرحمة تنعكس ليناً وحلماً، واللين والحلم يجعل القلوب تهفوا إلى هذا الإنسان، قانون:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

(سورة آل عمران: آية " ١٥٩ ")

إذاً ما الحلم ؟ الحلم إنسان اتصل بالله فامتلأ قلبه رحمةً، هذه الرحمة جعلت قلوب الناس تهفوا إليه.

فالنبيُّ عليه الصلاة والسلام على خلقٍ عظيم، ومن أبرز أخلاقه الحلم، أعرابيٌ جاء النبي صلّى الله عليه وسلّم يستعينه في شيءٍ فأعطاه، أعطاه شيئاً، ثم قال:

أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي لا. – من بدا فقد جفا – قال: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون، وقاموا إليه. فأشار إليهم أن كفّوا، ثم قام النبي صلّى الله عليه وسلّم فدخل منزله، ثم أرسل إلى الأعرابي، فدعاه إلى البيت، فقال:

إنّك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت – ما أعادها له، لألا يحرجه–، فزاده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً، ثم قال: أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً.
فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم:

إنّك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، وقلت ما قلت، وفي نفس أصحابي شيءٌ من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت الآن بين يدي – من أجل سلامته –، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك. قال: نعم.

فلما كان الغدُ، أو العشيُّ، جاء فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

إنَّ صاحبكم هذا كان جاء فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا دعوناه إلى البيت فأعطيناه، فزعم أنّه قد رضي، أكذلك يا أعرابي ؟ – صحيح–، قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً.
فقال أبو هريرة: فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم:

ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي، كمثل رجلٌ له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة: خلّوا بيني وبين الناقة، فأنا أرفق الناس بها وأعلم، فتوجّه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ من قُمام الأرض – من حشائش الأرض فردّها حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال ما قال فقتلتموه دخل النار.
معنى ذلك أن الحلم رحمة.. أعرابي فظ قال له: لا أحسنت، ولا أجملت.. الصحابة لا يحتملون هذا عن نبيّهم، لو أن النبي تركهم فقتلوه لدخل النار، دخل النار عاصياً، مات عاصياً، لكنّه ترفّق به ودعاه إلى البيت ثانيةً، وزاده وقال: هل أحسنت ؟ قال نعم، قال: قل هذا الكلام بين أيديهم، ليذهب ما في صدور أصحابي.

هذا الحلم.. الحلم رحمة، الحلم يدل على أنّك موصولاً بالله، والإنسان حينما يبطش، حينما يسحق، حينما ينتقم، معنى ذلك أن قلبه قاسي.. هذه واحدة.

ابتاع النبي صلّى الله عليه وسلّم جزوراً من أعرابي، بوثقٍ من تمر الذخيرة، فجاء به إلى منزله فالتمس التمر فلم يجده في البيت، – النبي لم يجد التمر في البيت – فخرج إلى الأعرابي فقال: يا عبد الله، إنا ابتعنا منج جزورك هذا بوثقٍ من تمر الذخيرة، ونحن نرى أنه عندنا، فلم نجده. فقال الأعرابي: وا غدراه –أي غدرتني–. فوكزه الناس، قالوا: تقول هذا لرسول الله ! فقال عليه الصلاة والسلام: دعوه.

توجد مجموعة مواقف، هؤلاء الذين وقفوها لرسول الله لو وقفوها من غيره لطارت رؤوسهم، قال الأعرابي له: وا غدراه. قال: دعوه.

قد يقول أحدكم: لما سمح الله لهذا الأعرابي أن يقول هذا الكلام؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لو لم يواجه مثل هؤلاء الأشخاص أين يظهر حلمه ؟ وكيف يكون قدوةٌ لنا ؟ هذه الأحداث أرادها الله عزّ وجل من أجل أن يظهر كمال النبي، ومن أجل أن يكون النبي قدوةٌ لمن بعده من الأمراء، ومن العلماء، مهما كان الموقف فيه فظاظة، فيه غلظة، قلبه الرحيم أوسع من فظاظة الأعرابي، قلبه الرحيم أوسع من غلظة هذا الإنسان، فقضية الحلم قضية رحمة، يجب أن نفلسفها هكذا، وليست قضية دم بارد، فيوجد أشخاص أحياناً يفرِّغون الحلم من مضمونه فيقولون: هذا دمه إنكليزي بارد... الحلم صار دم إنجليزي.

الحلم.. أي رحمة، الحلم اتصال بالله، الحلم شفقة على هذا الإنسان، فمثل بسيط:

لو كان طبيباً جلدياً، وجاء مريضاً معه مرضاً جلدياً شديد الإزعاج.. فبعض الأمراض الإنتانية تصيب الجلد بأكمله، فليس بالإمكان أن تتطلّع فيه.. فلو طبيب جاءه مريضاً مصاباً بمرضاً جلدياً مستفحلاً أيحقد عليه ؟ أم يشفق عليه ؟ يشفق عليه.

كذلك حال الإنسان مع أخيه الإنسان الشارد التائه.. فالمريض معه مرض جلدي، أو معه مرض عضال، فأنت كطبيب تشفق عليه، ولا تحقد عليه.. فلو أن حال المؤمن مع الآخرين كحال الطبيب مع المرضى، بدل أن يحقد عليهم يشفق عليهم.

فعندما يغلط الإنسان كأن يسب الدين في بعض الأحيان، أو أن يتكلّم بكلام بذيء، أو يعترض على قضاء الله وقدره، أو أحياناً يتكلّم كلاماً فيه كفر، فأنت بدل أن تحقد عليه، ينبغي أن تشفق عليه، وأن تحتويه، لا أن تعين الشيطان عليه، أنت أمام أحد أمرين.. إما أن تعينه على الشيطان، وإما أن تعين الشيطان عليه.

بلغ سيدنا عمر أن أحد أصدقاؤه ذهب إلى الشام وانغمس في شرب الخمر، أرسل له رسالة يقول فيها:

أما بعد.. أحمد الله إليك غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب ذو الطول.

قال: هذا الصديق قرأ الكتاب وبكى حتى تاب من شرب الخمر. فلما بلغ سيدنا عمر الخبر، قال: هكذا اصنعوا مع أخيكم، كونوا عوناً له على الشيطان، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه. فأحياناً يتكلّم الإنسان بكلمة غير صحيحة، فتجد إنسان بدافع الغيرة.. يا غيرة الله.. يقسو عليه، فيزيده كفراً، العبرة أن تستجلبه، العبرة أن تحتويه، العبرة أن يكون حلمك أوسع من غلطته، أما بداعي، أو بزعم الغيرة على الدين تسحقه.

فلذلك أيها الأخوة قصد المؤمن نبيل، قصد المؤمن أن يأخذ بأيدي الناس إلى الله، لا أن يسحقهم بدافع الغيرة على الدين.

أيضاً.. جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: يا رسول الله.. إنّ دوساً قد عصت، وأبت، فادعوا الله عليها. فاستقبل النبي صلّى الله عليه وسلّم القبلة، ورفع يديه فقال الناس: هلكت دوس. - دعاء النبي لا يردّ أبداً، دعاء النبي مستجاب-، ماذا قال النبي ؟ قال: اللهم اهدي دوساً وأتي بهم.

ما بعثه الله لعّاناً، ولكن بعثه هادياً.

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بينما نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسول الله.. اعدل. فقال: ويلك.. من يعدل إن لم أعدل ؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله إذن لي في أن أضرب عنقه. فقال له: دعه، فإن له أصحاباً. أي لئلا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه.. دعه.

وقد ورد أيضاً بالسيرة، أن سيدنا العبّاس كان في مكة عين النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهناك ما يؤكِّد هذه الحقيقة، فجاءت معركة بدر، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال كلمةً مختصره، قال: لا تقتلوا عمي العبّاس.

من دون تعليل، بعض أصحاب النبي نظر في الأمر وقال: أحدنا يقتل أباه وأخاه، وينهانا عن قتل عمّه ! فكأنّه أخذها عصبيّةً، فقد قاله هذه في نفسه.

ثم اكتشفت الحقيقة وهي أن سيدنا العبّاس كان مسلماً، وكان عين النبي، لو أن النبي فضح أمره فقال: عمي مسلم، لا تقتلوه. لأنهى دوره، لو أن العبّاس لم يخرج مع المشركين في قتال رسول

الله لفضح أمره أيضاً، لو أن النبي سكت لقتلوه.. فليس هناك حلاً لذلك.. إن سكت قتلوه، وإن قال: عمي قد أسلم، فقد أنهى بذلك دوره، والعبّاس إذا لم يخرج مشاركاً في القتال كشف أمره، فلا بدّ من هذا النهي غير المعلل، قال: لا تقتلوا عمي العبّاس. هذا الصحابي الذي ظنّ برسول الله الظنون قال:

والله بقيت أتصدّق عشرة سنين رجاء أن يغفر الله لي سوء ظنّي برسول الله.

فهل ممكن أن يحابي النبي أهله ؟ مستحيل، فهذه نبوّة، كمالٌ مطلق.

كُسرت رباعيّته صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد، وشُجَّ، فجعل الدم يسيل على وجهّه، وهو يمسح الدم ويقول:

كيف يفلح قومٌ خضب وجه نبيّهم بالدم، وهو يدعوهم إلى ربِّهم ؟

فأنزل الله تعالى:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)﴾

(سورة آل عمران: آية " ١٢٨ ")

قسم النبي صلّى الله عليه وسلّم قسماً، فقال رجل: والله ما أريد بهذا وجه الله. – يتكلّم عن النبي –، فذكرت ذلك فتمعّر وجه النبي، ثم قال:

يرحم الله أخي موسى، قد أوذي بما هو أشدُّ من هذا فصبر.

ما خيِّر النبي صلّى الله عليه وسلّم في أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله عزّ وجل.– أما أنه انتقم لنفسه، ما فعلها في حياته –، هذا من حلمه صلّى الله عليه وسلّم.

وقال سيدنا أنس: كنت أمشي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليه بردٌ نجراني، غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه – أي شده – بردائه جبذةً شديدةً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أثّرت بها، – حاشية البرد من شدَّة الجذب –، ثم قال: يا محمَّد مر لي من مال الله الذي عندك . – يا لله أعطني وبغلظة قالها – فالتفت إليه النبي الكريم، ثم ضحك وقال: أعطوه.

ذكرت لكم عدة حوادث، لو كانت مع غيره لطارت رؤوسهم من توّهم، ولكنّ النبي عليه الصلاة والسلام سيّد الحلماء، فهذا في أعلى درجات قوّته، فإذا إنسان ضعيف، وإنسان آخر تطاول عليه.. يقولون: لا يقدر عليه.. أما كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات قوّته، وكان إذا حرّك رأسه ينفّذُ أمره، ومع ذلك شخص جذبه جذبة شديدة عفى عنه، والثاني قال له: اعدل يا محمّد، والثالث قال له: ما أريد بهذه القسمة وجه الله عزّ وجل، هذا هو الحلم، والمؤمن يجب أن يتخلّق بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

يروا أن سيدنا معاوية خليفة المسلمين، وهو في أعلى درجات قوّته، جاءه كتاب من أحد المواطنين يقول في:

أما بعد.. فيا معاوية إن رجالك قد دخلوا أرضي، فانههم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأنٌ والسلام.

مستحيل أن يخاطب مواطن الخليفة بمثل هذا الكلام.. أما بعد.. فيا معاوية – باسمه يخاطبه –، إن رجالك قد دخلوا أرضي، فانههم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأنٌ والسلام. سيدنا معاوية أراد أن يمتحن ابنه يزيد.. فقال له: تعالى يا يزيد اقرأ هذا الكتاب، ما قولك ؟ فنظر يزيد إليه والدم يغلي في عروقه، وقال لوالده:

أرى أن ترسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه.

فقال له: غير ذلك أفضل.. جاء بالكاتب وقال له: أكتب.. أما بعد لقد وقفت على كتاب ولد حواري رسول الله – ابن الزبير –، ولقد ساءني ما ساءه، والدنيا كلُّها هيّنةٌ جنب رضاه، لقد نزلت له عن الأرض ومن فيها.

يأتي الجواب.. يقول له فيه:

أما بعد.. فيا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، ولا أعدمك الرأي الذي أحلّك من قومك هذا المحل. جاء بابنه يزيد وقال له: أنظر هذا هو الجواب.. أنت تريد أن نرسل له جيش نأتي برأسه. قال له: يا بني من عفى ساد، ومن حلُم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب.

الحلم سيّد الأخلاق، وكاد الحليم أن يكون نبيا، والحلم رحمة، والحلم معرفة بالله، والحليم له قلبٌ ممتلئ شفقةً على الخلق، لذلك لا ينتقم لنفسه أبداً.

ذات مرة عروة بن الزبير خاصم رجلاً من الأنصار، فحكّما النبي صلّى الله عليه وسلّم، كان الخلاف بينهما على ماء، قال له:

اسقي يا زبير ثم أرسل إلى جارك.

فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله لأنه كان ابن عمّتك – فعروة ابن عمة رسول الله، وهذا قد جعل الرسول شخصاً عادياً، أنت حكمت لصالح ابن عمّتك، وهذا بحقّ الأنبياء مستحيل –، فتلّون وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – إنسان يقول للنبي: لأنه ابن عمّتك حكمت له، جعله غير عادل –، هذا موقف.

والموقف الآخر قال له: ما أريد بهذا وجه الله، والموقف الثالث: اعدل يا محمد.. قال له: ويحك من يعدل إن لم أعدل، والموقف الرابع.. أعرابي جذبه من ردائه حتى أثّر على صفحة عنقه. فهذا كلُّه يؤكّد أن هذا النبي العظيم سيّد الأخلاقيين، وإنّك لعلى خلقٍ عظيم، وهذه القصص النبي غنيٌ عن مدحنا، غنيٌ عن تقديرنا، لكنّ هذا دروسٍ لنا من أجل أن نكون حلماء، والإنسان كلما ارتقى إيمانه يشتدُّ حلماً، كلّما ارتقى إيمانه يتّسع قلبه لأخطاء الناس.

أما هذا الذي ينتقم لنفس في مرتبة دنيا لا يزال، لأن هدفك الله عزّ وجل..

صدِّقوني.. أيّة إساءةً أبلغ من أن يتهِم الناس ابنتك بالزنا وهي عفيفةٌ طاهرة ؟ هذا مسطح اتهم ابنة سيدنا الصديق بالزنا، ومسطح قريبه، ومسطح كان ينعم عليه، ويغدق عليه العطايا، فلمّا اتهم ابنته بالزنا وشاع حديث الإفك بين الناس، أوقف الصديق عطاءاته لمسطح، فعاتبه الله عزّ وجل بقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾

(سورة النور: آية " ٢٢ ")

لو ساد الحلم بيننا.. أكثر من ستة آلاف دعوى في قصر العدل فقط في فرع واحد من محاكم القصر، كلها دعاوى كيدية، لو كان هناك إيمان لاسترحنا وأرحنا.. فهل يعقل أن سيدنا عمر يستلم وزارة العدل في عهد سيدنا الصديق سنتان، وفي خلالهما لم ترفع إليه قضية واحدة ليحكم فيها !! فهذا والله شيء يصيب القاضي بالملل، ولا مشكلة، فلو تراحم الناس، وكانوا حلماء، و اتسعوا ببعضهم لكنا في حال غير هذا الحال، أعصاب الناس تالفة من الكيد، والحقد، والانتقام، وكل

واحد يريد أن يكسر رأس الآخر، الناس يعيشون في مستنقع، هذه الأحقاد.. فتجد دعاوى، خصومات، وتحكيم على سنتيمترات قليلة، وعلى أشياء بالغة السخافة، ولكن الإنسان عندما يكون بعيداً عن الله عزَّ وجل الشيطان ينفخ فيه، ويزيده حقداً، ويزيده تعنُّتاً، ويزيده صلفاً، وكبراً، وغطرسةً، فحال المؤمنين حال آخر.

ملخّص الملخّص.. الحلم رحمة، والرحمة اتصال بالله، موصول، رحيم، حليم.. مقطوع، قاسي، فظ، منتقم. والحمد لله رب العالمين.

والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضى عنا، وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمّي، وعلى آله وصحبه وسلّم

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٣ – ٩) : الرفق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس الثالث من دروس السيرة ومع شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ومع رفقه في الأمور كلها وكرمه واعتذاره ؛ الاعتذار خلق كان عليه الصلاة والسلام يبين ويوضح ويعتذر. فكان عليه الصلاة والسلام قاعداً في المسجد ومعه أصحابه، هو سيد الخلق علماً وأدباً وخلقاً ورحمةً وفهماً و فطانةً، إذ جاء أعرابي فبال في المسجد، تصوروا ونحن جالسون يقوم واحد ويبول في المسجد في الحرم فوق السجاد، إلى من بعث ومع من تعامل وهو سيد الخلق وكلما ابتعد المستوى بين المتكلم وبين المستمع صار في صعوبة كبيرة جداً.

أحياناً إنسان مثقف ثقافة عالية أو أخلاقي يجلس مع مثيل له؛ الوقت لا يشعر به إطلاقاً يمضي ساعات طويلة أما عندما لا تجد بينك وبين الطرف الآخر أي قاسم مشترك تحس أن الدقيقة سنة ؛ كيف تحدثه؟ يعني تروى قصة رمزية لعلها صحيحة أنه أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه كان بين إخوانه يجلس ويدرس درس فقه ويبدو أن في آلام في رجله فمد رجله استحياءً وكأنه اعتذر لإخوانه ؛ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما رئي ماداً رجليه قط، المعذور وضع آخر، فدخل شخص طويل القامة عريض المنكبين عليه هيئة علم فاستحيا منه ورفع رجله وجلس هذا في مجلسه والموضوع عن صلاة الفجر حدثهم عن صلاة الفجر ؛ والفجر الصادق والكاذب وركعتي الفجر وفضل ركعتي الفجر فلما انتهى من الدرس رفع هذا الضيف يده مستأذن بالكلام وقال له: كيف نصلي الصبح إذا طلعت الشمس قبل الفجر فقال له: عندئذ يمد أبي حنيفة رجله. تعيش أنت يقظ وفطن مع إنسان كتلة غباء ؛ كتلة فظاظة هذا شيء لا يحتمل لذلك أعظم تكريم لك أن يكون الذي حولك قريبين منك تقريباً، سمعت عن رجل عنده مكتبة ثمينة جداً وهو حريص عليها حرص لا حدود له وله صديق حميم رجاه رجاءً حاراً أن يعيره كتاب؛ اعتذر الكتاب لا يعار ؛ واحد قبل أن يموت جمع أولاده في مكتبة ضخمة جداً له قال إياكم أن تعيروا أي كتاب من هذه المكتبة لأنها كلها كتب مستعارة.

فلذلك هذا الصديق بعد أيام توفي الشخص ؛ أقسم بالله رأى الكتاب في حاوية القمامة ؛ فإنسان الكتاب قيم عنده والمكتبة ثمينة جداً بعد أن يموت توضع في مكان مهمل أو تلقى في الحاوية ؛ يعني أعظم تكريم لك أن يكون الذي حولك من مستواك.

فانظر سيد الخلق وحبيب الحق إنسان يدخل في حضرته ويبول في المسجد.

((حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَهُوَ عَمُّ إِسْحَقَ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ مَهْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))

إخوانا الأطباء أطباء الكليتين يقولون: إذا الإنسان شرع في البول ثم أوقف البول يتضرراً تضرراً بالغ وكأنما النبي طبيب لا تزروا عليه بوله.

أرأيتم إلى هذا الرفق وهذا الحلم في حضرته ومع أصحابه إنسان يبول في المسجد ؛ ثم أرأيتم إلى هذا المستوى الذي كان فيه العرب في الجاهلية.

((حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى ح و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْنَى عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ يُصَمِّتُونِي فَقَالَ عُثْمَانُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُسَكِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُّ قَالَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي وَأُمِّي مَا ضَرَبَنِي وَلَا كَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَحِلُّ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَذَا إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَمِنَّا رِجَالٌ يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ قُلْتُ جَارِيَةٌ لِي كَانَتْ تَرْعَى غُنَيْمَاتٍ قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ إِذِ اطَّلَعْتُ عَلَيْهَا اطِّلَاعَةً فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْهَا وَأَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَعَظُمَ ذَاكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ ائْتِنِي بِهَا قَالَ فَجِئْتُهُ بِهَا فَقَالَ أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))

صككتها أي ضربها ضرباً مبرحاً ؛ هذا موقف النبي عليه الصلاة والسلام .

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا بأهله؛ أي إذا دخل إلى بيته ؛ الإنسان له مكانة، حدثني رجل قال لي: لنا معلم مكانته كبيرة جداً في الوظيفة وله شخصية قوية جداً ومئات الناس يهابون النظر إليه وقال لي: مرة سهرنا في البيت عنده فقالت له زوجته: قم ونام كفاك اليوم.

انظر في البيت كيف وضعه الإنسان قد يكون خارج البيت قوي ولكن داخل البيت، الآن النبي الكريم كيف في بيته قالت: كان أبر الناس وأكرم الناس ضحاكاً بساماً صلى الله عليه وسلم. كثير في أشخاص خارج البيت زكي وفطن ويعتذر والابتسامة على وجهه دائماً وفي البيت وحش؛ هذا تناقض مريع لذلك:

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ مَا أَقَلَّ مَنْ رَوَاهُ عَنِ الثَّوْرِيِّ وَرُوِيَ هَذَا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا))

فإذا الإنسان خارج البيت لطيف وناعم ينبغي أن يكون كذلك في البيت ؛ حتى يكون في انسجام وإلا يكون تناقض.

ويوجد مثل عامي ــ في الخارج شحرور وفي الداخل دبورــ، قالت: كان أبر الناس وأكرم الناس ضحاكاً وبساماً، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

((لآحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَأَبُو عَمَّارٍ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَاللَّفْظُ لَفْظُ أَبِي عَمَّارٍ قَالَا أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ قَالَ وَمَا أَهْلَكَكَ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ قَالَ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَ لَا قَالَ اجْلِسْ فَجَلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ الضَّخْمُ قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَحَدٌ أَفْقَرَ مِنَّا قَالَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ قَالَ فَخُذْهُ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ مُتَعَمِّدًا مِنْ جِمَاعٍ وَأَمَّا مَنْ أَفْطَرَ مُتَعَمِّدًا مِنْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ وَشَبَّهُوا الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ بِالْجِمَاعِ

وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَإِسْحَقَ و قَالَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَفَّارَةُ فِي الْجِمَاعِ وَلَمْ تُذْكَرْ عَنْهُ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَقَالُوا لَا يُشْبِهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ الْجِمَاعَ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ و قَالَ الشَّافِعِيُّ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلرَّجُلِ الَّذِي أَفْطَرَ فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ خُذْهُ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ يَحْتَمِلُ هَذَا مَعَانِيَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْكَفَّارَةُ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا وَهَذَا رَجُلٌ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَفَّارَةِ فَلَمَّا أَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا وَمَلَكَهُ فَقَالَ الرَّجُلُ مَا أَحَدٌ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنَّا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْهُ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ لِأَنَّ الْكَفَّارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الْفَضْلِ عَنْ قُوتِهِ وَاخْتَارَ الشَّافِعِيُّ لِمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ أَنْ يَأْكُلَهُ وَتَكُونَ الْكَفَّارَةُ عَلَيْهِ دَيْنًا فَمَتَى مَا مَلَكَ يَوْمًا مَا كَفَّرَ))

بعرق فيه تمر: العرق المكتل الضخم كمية التمر الضخمة جداً، مشكلة كبيرة جداً أن تفطر وتأخذ شيء تأكله مع عيالك ؛ فقال له هذه لك وحدك انصرف.

((حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ أَخْبَرَنَا زِيَادٌ الْأَعْلَمُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاكِعٌ فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ))

يوجد صفين في المسجد فرضاً دخل واحد فرآهم راكعين وركع في ؛ وعندما وقف الإمام قرب وصلى وأحدث تشويش ؛ وهذه قاعدة أساسية في القيادة إذا عندك موظفون وارتكب أحدهم خطيئة ولو أنك حاسبته عليها بقسوة لنفر منك ولابد أن تذكر شيئاً من محاسنه ومن إيجابياته اذكرها أولاً ثم انتقضه عليها ؛ قال له: زادك الله حرصاً ولا تعد إليها مرة ثانية هذا من رفقه صلى الله عليه وسلم.

((حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى))

وهذه قضية مهمة جداً ؛ إذا واحد جاءته مصيبة لا سمح الله بعد حين سوف يصبر مقهوراً هذا الحاضر ؛ ولكن البطولة أن تصبر عند الخبر الأول هنا الإيمان، أيام إنسان يتلقى الخبر بضجيج ويرفع صوته ويسب وبعد ذلك يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

سقط في الامتحان ؛ إذا الإنسان جاءته مصيبة وبعد حين صبر هذا الصبر لا قيمة له إنما الصبر عند الصدمة الأولى ؛ إيمانك يظهر هنا مع تلقي الخبر وليس بعد حين.

((حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ شِنْظِيرٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ لَهُ فَانْطَلَقْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ عَلَيَّ أَنِّي أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَشَدُّ مِنَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ فَقَالَ إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي وَكَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ))

انظر إلى هذا التواضع ؛ بين له واعتذر له ؛ ويوجد قاعدة البيان يطرد الشيطان؛ بين اعتذر وضح ؛ إنسان فرضاً طرق بابه طارق وصار في وقت زمني كبير حتى استقبله لعل في الحمام ؛ لعل يصلي يجب أن تعتذر له ومضى خمس دقائق وهو واقف على الباب ومن ثم تفضل قل له أنا كنت أصلي حتى يقبلها منك، أما من غير مبرر ولأن البيان يطرد الشيطان.

((حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ))

وهذا الحمار لا ينبغي أن نذبحه إلا لأننا حرم ؛ دائماً يجب أن تبرر وأن توضح وأن تبين وأن تقنع الطرف الآخر أنه أنت ليس في قلبك شيء ؛ أيام تنشئ مع الإنسان مشكلات من سكوته فقط وتتفجر أحياناً من سكوته.

((أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسٌ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلَتْ أُخْرَى بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ يَدَ الرَّسُولِ فَسَقَطَتِ الْقَصْعَةُ فَانْكَسَرَتْ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِسْرَتَيْنِ فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ وَيَقُولُ غَارَتْ أُمُّكُمْ كُلُوا فَأَكَلُوا فَأَمْسَكَ حَتَّى جَاءَتْ بِقَصْعَتِهَا الَّتِي فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الرَّسُولِ وَتَرَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْهَا))

وفي رواية غضبت أمكم ؛ والذي كسرتها دفعها الثمن ؛ حليم ودقيق ؛ هناك شخص سبهللة وفي شخص حليم دفعها الثمن طالما كسرتها أخذ صفحة جديدة من عندها وترك لها المكسورة.

عن جرير البجلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل البيت فامتلئ البيت ودخل جرير فقعد خارج البيت فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ ثوبه اللهم

صلي عليه ؛ ثوبه الخارجي فلفه ورمى به إليه وقال له: اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وقبله وبكى وقال ما كنت لأجلس على ثوبك.

من شدة أدبه ومن شدة امتنانه ؛ دخل إنسان ليس له محل لا أحد ينتبه ؛ ووقف و وقف، المؤمن يزيح لأخيه ومن حق أخيك عليك أن تتزحزح له ؛ النبي وجده واقفاً والمكان ممتلئ واستحيا بنفسه خلع ثوبه ولفه ورماه إليه وقال اجلس عليه ؛ هذا اهتمام ؛ فقال أكرمك الله كما أكرمتني ما كنت لأجلس على ثوبك.

((حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قَالَتْ فَقُلْتُ وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ قَالَ أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ و حَدَّثَنَاه ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ))

إذا كانت غضبانة لا ورب إبراهيم ؛ راضية لا ورب محمد.

أيها الأخوة:

هذه بعض المواقف من رفق النبي صلى الله عليه وسلم وتكريمه لأصحابه واعتذاره وبيانه ؛ رفقه ورحمته وتقريبه وتكريمه لأصحابه وبيانه واعتذاره هذه بعض صفات النبي وهذه ليست للإعلام ولكنها للتطبيق ؛ ليست للإعلان والإعلام ليس له قيمة والنبي له مرتبة عند الله ثابتة لا يرفعها عند الله مدحنا ولا يخفضها ذمنا ؛ هو فوق ذلك هو غني عن مديحنا ولكننا نحن مفتقرون إلى تقليده واتباع سنته.

والنبي قال إنما الحلم با لتحلم وإنما الكرم بالتكرم والإنسان أول الأمر يقلده ثم تصبح هذه الأخلاق جزء من حياته الأصيلة.

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٤ – ٩) : الرحمة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس الرابع من دروس شمائل النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان والباب اليوم باب في رحمته صلى الله عليه وسلم وقبل أن نخوض في هذا الباب لابد من مقدمة:

الرحمة شيء وجوده صارخ في الإنسان وغيابها صارخ كيف ؟ إنسانة أم بذلت جهداً مضنياً أثناء النهار ونامت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وبعد أن استغرقت في النوم بنصف ساعة بكى ابنها فاستيقظت الآن عاكست حاجة جسمها للنوم ؛ إنسانة أخرى ليست أم تعمل في مستشفى أوت إلى الفراش في الليل وبكى أحد الأطفال الصغار لا تستيقظ لا تسمع صوته إطلاقاً لأن الذي في قلب الأم ليس في قلب هذه الممرضة ؛ فالرحمة شيء موجود.

امرأة جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام أعطتها السيدة عائشة رضي الله عنها تمرة يبدو أنها في أعلى درجات الجوع وابنها يبكي من الجوع فأعطته لبنها ؛ الرحمة إن وجدت قد تعاكس بها حاجات الجسد إلى الراحة أو إلى الطعام أو إلى الشراب ؛ كل إنسان في بقلبه رحمة يعمل عمل يتناقض مع مصالحه يتناقض مع حاجات جسمه يتناقض مع رغباته معنى هذا أنه في شيء يقاوم رغبات الجسم.

لو فرضنا هرة مصابة بحادث يمر أمامها عشر أشخاص في إنسان يعطل عمله ويأخذها إلى مستوصف بيطري ويعالجها وإنسان ثاني لا يتأثر بهذا المنظر وحينما يرى الإنسان موقف يدعو إلى الشفقة هناك من يستجيب وهناك من لا يستجيب ؛ الذي يستجيب في بقلبه رحمة فالرحمة شيء وإن كان غير مادي لكن شيء وجوده صارخ.

إخوانا الكرام:

بالمناسبة هذه الرحمة تشتق من الله ففي قلبك من الرحمة بقدر اتصالك بالله ولا سمح الله ولا قدر في قلب الإنسان من القسوة بقدر بعده عن الله قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)﴾

(سورة الزمر)

القلب الرحيم قلب موصول والقلب القاسي قلب مقطوع ؛ الآن المعادلة من الآية:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾

(سورة آل عمران)

شرح الآية بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد من خلال اتصالك بنا كنت ليناً معهم فالتفوا حولك وأحبوك ولو كنت غافلاً لم تأتي إلى قلبك هذه الرحمة كنت إذاً فظاً غليظ القلب ؛ عندئذ ينفض الناس من حولك.

صار في اتصال رحمة لين التفاف ؛ انقطاع قسوة غلظة تفرق، قانون ؛ دعك من كل مظاهر المسلم إذا في بقلبه رحمة موصول وفي بقلبه قسوة مقطوع ولو صلى قيام الليل ولو فعل كل الطاعات ؛ لو في بقلبه قسوة مقطوع عن الله وهذه الطاعات شكلية جوفاء لا قيمة لها؛ أنت يمكن أن تزين إيمانك بالرحمة لأن أصلها من الله ؛ إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله سبحانه وتعالى فإذا أحب الله عبداً منحه من هذه المكارم بعضها ؛ درسنا اليوم الرحمة ألح على هذا لأنه لا يمكن أن أقبل مؤمن قاسي القلب مؤمن عنده غلظة لأن المؤمن موصول والموصول بالرحيم رحيم والمقطوع عن الرحيم قاسي ؛ فإذا كان هناك مؤشران يتحركان معاً مؤشر الرحمة والإيمان أنت رحيم بقدر إيمانك ؛ ويوجد قسوة بقدر إعراضك.

((حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ ابْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))

إذا إنسان وجد عمل في بلاد النفط بلاد الخليج ممنوع يستقدم زوجته هكذا القوانين؛ هذه القوانين خلاف الطبيعة البشرية ؛ إنسان تحرمه زوجته سنة ليس معقول ؛ الذي خلقه الله في قلب الزوج والزوجة لا يستطيع إنسان أن يفرق بينهم وهم يفرقون ممنوع إحضار الزوجة إلا إذا كان راتبه ستة آلاف وما فوق مثلاً ؛ هذا خلاف الطبيعة البشرية ؛ انظر إلى النبي:

((فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))

هو النقطة الدقيقة في هذا الحديث أنه ظن أنا اشتقنا إلى أهلنا؛ لعن الله من فرق بين الأم وابنها وبين الزوج وزوجته هذا شيء الله عز وجل أودعه في الإنسان ؛ فكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على سعادة أصحابه حريصاً على رأب الصدع ولم الشمل ؛ من الصفات الراقية في الإنسان أن تجمع شمل الأسرة، مرة سمعت في تعيين المعلمين والمعلمات في أنحاء المحافظات فإذا إنسان زوجته معلمة جمعاً لشمل الأسرة تنقل معه أو ينقل معها شيء طيب وجميل أنه جمعت شمل الأسرة هذا نظام إلهي فالنبي عليه الصلاة والسلام:

((فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ.))

((حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ))

وهذا من رحمته صلى الله عليه وسلم.

((حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِاللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قَالَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ))

إذا الأم تصلي خلف الإمام في مكان آخر انتهت صلاتها أصبحت مع ابنها فكان عليه الصلاة والسلام يرحم الأم وابنها فيخفف من صلاته ؛ وهذا من رحمته دون تكلف ؛ هناك أشخاص أذكياء جداً يتصنعون الرحمة لكن في مواطن أخرى قلبهم كالجلمود ؛ كالصخر، إذا في قلب صخري وفي موقف ظاهره فيه رحمة هذا موقف ذكي لكن لا ينطلق من رحمة حقيقية ينطلق من عمل لانتزاع إعجاب الناس ممكن أن تقبل طفل صغير العبرة أن ترحمه وترحم من حوله.

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِيَانِ الْفَزَارِيَّ عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))

حتى الذين أذوه ؛ حتى الذين نكلوا بأصحابه حتى الذين ذموه وهجوه ؛ كان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون.

ما تخلى عنهم ودعا لهم واعتذر عنهم ؛ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ؛ أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله.

وكان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالصبيان.

((حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَالَ عَمْرٌو فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ))

ينتقل من بيته إلى طرف المدينة البعيد لدقائق ليمسك ابنه ويشمه ويقبله ويعود مع أصحابه ؛ يوجد بقلبه رحمة ؛ العلماء أجمعوا على أن أرحم الخلق بالخلق هو سيد الخلق ؛ علو مرتبته بسبب رحمته قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٢٨)﴾

(سورة التوبة)

((حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا قُرَيْشٌ هُوَ ابْنُ حَيَّانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ رَوَاهُ مُوسَى عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

هذا أكمل موقف يقفه الإنسان إذا مات ابنه الصغير والبكاء لا يقلل من حسناتك ولا يلغي صبرك لأن طبيعة البشر الله عز وجل أودع في الآباء رحمة، بالمناسبة الرحمة نوعان رحمة فطرية ورحمة كسبية ؛ فالله عز وجل من أجل أن تنطلق الحياة وأن تستمر الحياة وأن ينشأ الأطفال برعاية آبائهم وضع في قلب كل أب وأم رحمة ابتدائية فطرية وليست كسبية ؛ فأية أم على وجه الأرض إلا ما ندر حالات شاذة جداً تعطف على ابنها وتطعم ابنها وتحنو عليه وترضعه....

إلا أن هذه الرحمة جيدة ولا بد منها إلا أنها فطرية وأجرها قليل أية رحمة تنال عند الله أعظم الأجر ؟ الرحمة العامة يعني الأم تسقي ابنها كأس الحليب أما ابن زوجها تسقيه كأساً نصفه حليب

ونصفه ماء رحمتها الفطرية عالية أما الكسبية صفر ؛ أكثر زوجات الزوجات إن كان لأزواجهن ولد من غيرهن تقسو عليه قسوة لا حدود لها ترحم أولادها رحمة لا حدود لها وتقسو على أولاد زوجها قسوة لا حدود لها معنى ذلك أن الرحمة الكسبية عندها معدومة أما الرحمة الفطرية عالية أين الأجر في الرحمة العامة، أنا مرة كنت في محل تجاري في يوم عطلة محل أقمشة صاحب المحل عنده طفل يعمل في المحل بأجر ولأنه يوم عطلة ابنه في المحل ؛ حمل هذا الصانع أثواب أول ثوب وثاني ثوب وثالث ثوب أصبح لا يستطيع أن يحمل قال له: لا أستطيع أن أحمل فقال له: أنت شب ما تزال ؛ ولم ينتبه لنفسه حمل ابنه ثوب واحد فقال له: بابا انتبه ظهرك ؛ أنا سقط من عيني أساساً ؛ ليس له أجر بهذا العمل هذه رحمة فطرية أعطاه الله إياها ليس من أجله ولكن من أجل أولاده أي أب يسعى لرعاية _أولاده رحمة فطرية ولكن أين الأجر ؟ في الرحمة الكسبية حينما ترحم هذا الطفل الصغير اليتيم فأنت عند الله كبير.

ألاحظ بعض أصحاب الأعمال ابنه يضع له مليون ليرة دروس خاصة عنده صانع طلب منه أن يذهب قبل الدوام بربع ساعة ليدخل مدرسة ليلية رفض وقال: يجب أن لا يتعلم ولكن ابنه يريده طبيب ومهندس يريده في أعلى مرتبة يدفع دروس خاصة مليون ليرة أما هذا اليتيم الذي عنده لا يرضى ؛ أنا لا أقلل من قيمة الرحمة الفطرية لكن تأكدوا أجرها قليل جداً لأنك لن تسعى إليها جاءتك من الله هبة ؛ فرحمة الأولاد شيء فطري طبيعي جداً ليس لك به أجراً كلياً ؛ في أجر ولكن الرحمة التي ترقى بها عند الله حينما ترحم الغريب كما ترحم ابنك ؛ حينما ترحم هذه الفتاة التي هي زوجة ابنك في البيت كما ترحم ابنتك ؛ الملاحظ البنت تنام حتى الساعة الثانية عشر مسكينة متعبة لأنها ابنتها أما كنتها تقيم عليها القيامة لا يوجد رحمة هنا وهناك الرحمة موجودة. الرحمة التي وضعت في قلب الأم بالفطرة لا يرقى بها الإنسان لأنه لم يسعى إليها وجاءته من غير جهد ؛ النبي قال: ولكنها رحمة عامة.

ويوجد في الحياة مفارقات ؛ أنا سمعت قصة ليست دليلاً إطلاقاً يعني امرأة ماتت ولها قريب صالح جداً رآها في المنام تعذب أشد التعذيب النار تخرج منها المنام كل سنة أو ثماني أشهر رآها مرة بوضع غير معقول لمدة ثمان سنوات وهو رجل صالح قال لي: بعد ثمان سنوات رأيتها بحالة جيدة فسألتها ماذا فعل الله بك قالت له: الحليب يا ابني ؛ فسأل ما الحليب؛ هي لها أولاد زوج ؛ أولادها تعطيهم حليب كامل الدسم ثمان و عشرون بالمائة وأولاد زوجها نصف الكأس ماء ونصفه حليب.

الإنسان إذا لم يعدل شيء مخيف أنا هذا الذي أتمناه أن يكون في قلبك رحمة عامة لكل الخلق تعامل الناس وكأنهم أولادك ترقى عند الله.

((أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ رَفَعَهَا))

من حبه للأطفال كان يرحمهم ؛ بالمناسبة الطفل تلقى من أبويه رحمة عالية المستوى هذا حينما يكبر في بقلبه رحمة إلى المجتمع، الآن يوجد ظاهرة في المجتمعات الغربية جريمة مخيفة أكثر هذه الجرائم تأتي من القطاء لأن هؤلاء ما اشتقوا رحمة من أحد ما وجدوا أم ترحمهم؛ أب يغدق عليهم فالطفل إذا ما اشتق الرحمة من والديه ينشأ إنسان مجرم عندما يكبر القسوة التي تراها من بعض الناس وهم كبار ضعف الرحمة في قلوبهم سببها أنهم ربوا في بيوت لا رحمة فيها بقسوة بالغة إخوانا المدرسين يعرفون هذه الحقيقة الطفل المشاكس هذا ليس في بيته رحمة أبداً ؛ لا يوجد وئام يوجد شقاق والقسوة في البيت تنعكس على سلوك الابن في المدرسة.

لذلك الإنسان حينما يغدق على أولاده رحمة هذه الرحمة في المستقبل تنعكس على المجتمع وعتاد المجرمين في العالم ما اشتقوا هذه الرحمة من أمهاتهم ولا آبائهم.

((حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا أَوْ كَمَا قَالَ))

أنا ما كنت أصدق أنه اللهم صلي عليه ممكن يرى صبيان في الطريق فيتسابق معهم ؛ ممكن أن يشاهد صبي في الطريق يحمله على الناقة ليدخل على قلبه السرور ؛ بقدر رحمتك تعتني بأولادك تغدق عليهم من الرحمة بحيث إذا كبروا أغدقوا هذه الرحمة على الآخرين ولا ترى القسوة إلا من شقي.

((حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا أَوْ كَمَا قَالَ))

((حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي مُوسَى وَيُقَالُ لَهُ إِسْرَائِيلُ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَحَسَنٌ عَلَيْهِ

السّلَام مَعَهُ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النّاسِ مَرّةً وَعَلَيْهِ مَرّةً وَيَقُولُ إِنّ ابْنِي هَذَا سَيّدٌ وَلَعَلّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))

((حَدّثَنَا عَبْدُاللّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِاللّهِ بْنِ عَبْدِاللّهِ ابْنِ عُتْبَةَ عَنْ أُمّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ أَنّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجْرِهِ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ))

العلماء استنبطوا أن بول الصغير الذي لم يأكل الطعام إطلاقاً نجاسة مخففة جداً ؛ بينما بول الجارية أي البنت نجاسة مغلظة ؛ والعلم أثبت ذلك الطفل الذي لم يأكل الطعام بوله نجاسة مخففة ؛ لم يغسل الثوب نضح عليه الماء وانتهى الأمر ؛

((حَدّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدّثَنَا عَفّانُ حَدّثَنَا وُهَيْبٌ حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ عَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيّ أَنّهُ قَالَ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَسْعَيَانِ إِلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَضَمّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ إِنّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ))

ترى الشاب الأعذب ينفق المال كيفما شاء وعندما يتزوج يصبح عنده أولاد يمسك ؛ صار سياسة جديدة أولاده الذين في حجره ؛ عبر عن هذه الحالة بشكل لطيف وفيه دعابة إن الولد مبخلة مجبنة

وهناك واحدة ثالثة في حديث آخر مشغلة مبخلة مجبنة، طبعاً وفق منهج الله لا شيء عليه.
عن شريد الهمداني قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فبينما أمشي إذا وقع ناقة خلفي فالتفت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الشريد قلت نعم قال: أفلا أحملك قلت بلا ولا بي عياء ولا لغوب ولكني أردت البركة مع ركوبي مع النبي صلى الله عليه وسلم فأناخ ناقته وحملني.

المجتمع الذي يكرم الصغار مجتمع راقي جداً وهؤلاء الصغار هم رجال الغد ؛ بقدر ما تعتني بهم يعتنون بمن دونهم حينما يكبرون.

يوجد ملاحظة أريد أن أقولها لكم أحياناً تجد إنسان بمنصب حساس في بقلبه رحمة وليس ملتزم دينياً أبداً لكن لا يؤذي أحد هذه حالة طيبة هذا نشأ في بيت متوازن نشأ في بيت فيه رحمة لو لم يلتزم لكن رحمته واضحة ؛ لا يتحمل أن يوقع الأذى بإنسان ؛ فمثل هذا الإنسان انعكاس رحمة والديه الذين أغدقا عليه هذه الرحمة، نحن في الجامعة أجروا تجارب دقيقة لو أن أم أرضعت

طفلها بقسوة ينشأ هذا الطفل قاسياً؛ كلما كانت الأم ألين مع ابنها كان هذا الطفل أقرب إلى الرحمة وخدمة المجتمع من غيره.

((حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ قَالَ ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ))

هذه نقطة دقيقة جداً الطفل يحب الفاكهة ؛ أيام يكون الأب دخله محدود تعزف نفسه عن شراء الفاكهة أما الطفل لا يعرف هذا ؛ بعض الفاكهة للأطفال محببة جداً ؛ النبي عليه الصلاة والسلام في رواية أخرى: إذا أوتيت له الفاكهة في بواكيرها كان يقبلها ويدعو هذا الدعاء ويعطيها أصغر طفل في المجلس ليأكلها.

عن جابر رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فلما سلم قال لنا على أماكنكم أهديت له جرة من حلواء فجعل يلعق كل رجل لعقةً ؛ كل واحد صلى معه له لعقة من هذه الجرة ؛ حتى أتى علي و أنا غلام طفل صغير فألعقني لعقتين ؛ هذه معاملة خاصة ؛ جميع الكبار لعقة واحدة أما الصغير فلعقتين.

أذكر مرة أنه كان في جيبي قطعة من الحلوى ـ نوغا ـ جاء والد مع ابنه بعد درس الجمعة و الدرس كان مؤثر و الحمد لله ؛ فقلت له: أرأيت هذا الدرس ليس له فائدة بالنسبة لابنك وعندما أخذ قطعة الحلوى قال له الآن صار له فائدة ؛ أي الطفل ماذا يفهم من الدرس يعرف أن قطعة الحلوى، أحسن من كل هذا الكلام ؛ فالإنسان يجب أن يهبط لمستوى الصغير؛ ألعق الطفل لعقتين.

((حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ))

الأموال لورثته و الديون علي ؛ فالأموال لا نأخذها جميعها من الورثة هذه مشكلة ؛ الأموال لورثته و الديون عليه.

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٥ – ٩) : بكاؤه وحزنه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس الخامس من دروس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومع شمائله الكريمة ومع باب في بكائه وحزنه صلى الله عليه وسلم.

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُ بَنَاتِهِ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا ابْنًا أَوِ ابْنَةً قَدِ احْتُضِرَتْ فَاشْهَدْنَا قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا يَقْرَأُ السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ فَقَامَ وَقُمْنَا فَرُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَى حِجْرِ أَوْ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ وَفِي الْقَوْمِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأُبَيٌّ أَحْسِبُ فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))

ومن السنة إذا عزيت أخ في مصاب أن تقول له إن لله ما أخذ وله ما أعطى وإحدى الصحابيات الجليلات كان ابنها مريضاً مرضاً شديداً فلما جاء زوجها مساءً سألها عن حال ابنها وكان قد مات فقالت له: هو في أهدأ حال فظن أنه قد شفي وكان متعباً ؛ أعدت له الطعام فأكل وفي الحديث أنها هيأت نفسها له فأصاب منها وفي الصباح سألها أين ابنها قالت: لو أن الجيران أعارونا عارية ثم استردوها أتغضب قال: لا فقالت: إن لله ما أخذ وله ما أعطى ؛ أعلمته أنه مات فلما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما جرى بينه وبين زوجته أثنى عليها ثناءً كبيراً وقال: بارك الله في ليلتكما.

ويروى أن هذا الصحابي الجليل أنجب غلاماً كان من نسله عدداً كبيراً من حفاظ القرآن الكريم، المؤمن قيمة إيمانه أنه في المواقف الصعبة إيمانه يقف معه ؛ إن لله ما أخذ وله ما أعطى قضية الموت قضية منتهية الإنسان له أجل لا يتقدم ولا يتأخر ؛ لذلك إنسان جاهل إذا مات عزيز عليه ينهار ؛ والله أعرف رجل من رواد المساجد إلا أن إيمانه كان ضعيفاً له ابن متعلق به تعلقاً شديداً فلما توفي ابنه ترك الصلاة وأعرف رجل آخر من أهل العلم له ابن يعني أفضل أولاده أخذ دكتوراه في الطب ودرس اختصاص قلب وأنهى الاختصاص ودخل شريعة صف ثالث وحفظ كتاب الله وأنهى خدمته الإلزامية اختار له عروساً عقد قرانه عليها وبقي لعرسه أيام معدودة وهو ذاهب في سيارة عامة من دمشق إلى حلب وقع حادث فمات ابنه ؛ هو من أحد العلماء الأفاضل

فذهبنا جمع من الشام لتعزيته في حلب ؛ أنا كنت أظن أني سأرى رجلاً منهاراً؛ ابن طبيب اختصاص حفظ كتاب الله ؛ شريعة وأنهى خدمته وعقد قرانه وأفضل أولاده ؛ وجدت منه العجب العجاب ؛ وجدت منه استسلاماً لقضاء الله وجدت ابتسامة ؛ ما كنت أظن أن الإيمان إلى هذه الدرجة يرضي بقضاء الله وقدره؛ فالمؤمن كلما ازداد إيمانه يرضى عن الله ؛ يرضى بمر القضاء والرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين.

أنت حينما تقول الحمد لله نجحت ؛ المصيبة امتحان لمجرد أن تقول الحمد لله وأنت راض عن فعل الله نجحت، إنسان يطوف حول الكعبة يقول: يا رب هل أنت راض عني فكان وراءه الإمام الشافعي قال يا هذا: هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك فالتفت نحوه وقال: من أنت يرحمك الله قال له: أنا محمد بن إدريس قال له: كيف أرضى عن الله وأنا أتمنى رضاه فقال الإمام الشافعي: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة تكون قد رضيت عن الله.

العبرة بمر القضاء ؛ كل الناس على اختلاف مستوى إيمانهم وعلى اختلاف ورعهم بالرخاء يشكرون الله عز وجل تراه غارق بالنعيم ويقول: الحمد لله،أما إذا جاءك على خلاف ما تريد وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا جاءت الأمور على ما يريد قال:

((حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْرَقُ أَبُو مَرْوَانَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُمِّهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))

فكلمة الحمد له على أثر مصيبة دليل نجاحك بالامتحان ؛ فردت إليه الرسول ابنته زينب ؛

((إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ فَقَامَ وَقُمْنَا فَرُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَى حِجْرِ أَوْ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ وَفِي الْقَوْمِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأُبَيٌّ أَحْسِبُ فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))

يعني إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي ؛ وأنا أقول لكم الويل ثم الويل ثم الويل لمن كان قلبه قاسياً ؛ قسوة القلب دليل البعد ورقة القلب دليل القرب ؛ لا تأخذ بالعبادات الصارخة فالعبرة بالقلب الرحيم لأنه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ومن لا يرحم لا يرحم.

يعني أنا في أشخاص في حيرة ؛ له عبادات وحازم في عباداته أما ينطوي على قلب من الصخر ؛ لو دمر أسرةً ونفذ كلمته ويصلي ما هذه القسوة التي لا حدود لها وما قيمة هذه العبادات إذا أوصلتك إلى قسوة في القلب ؛ رقة القلب دليل الاتصال وقسوة القلب دليل البعد عن الله عز وجل.

((حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَقَالَ وَكِيعٌ قَالَتْ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ قَالَتْ فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ يَعْنِي عُثْمَانَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَيْنَاهُ تُهْرَاقَانِ أَوْ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي))

أخوانا الكرام:

النبي عليه الصلاة والسلام كان أخاً لأصحابه ؛ أخاً مخلصاً خصهم بكل الود أحبهم من كل قلبه؛ يوجد إنسان ذكي له تصرفات مقبولة ويثنى عليه بها ؛ لكن ليس في قلبه حب ؛ لكن المصلحة تقتضي أن أزوره ؛ والمصلحة تقتضي أن أعزيه ؛ والمصلحة تقتضي أن أتعاطف معه ؛ هذا التعاطف وهذه المشاركة الكلامية ليس هي المقصودة في الدين؛ كان عليه الصلاة والسلام يحب أصحابه حباً حقيقياً بادلهم حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص ووفاءً بوفاء فدخل إلى بيته وهو مسجى على السرير وقد توفي فقبله وهو يبكي.

وفي رواية أخرى أنه سمع امرأة تقول هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله فقال لها: ومن أدراك أن الله أكرمه قولي أرجو الله أن يكرمه وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم.

أنت حينما تحكم على المستقبل فكأنك تجاوزت قدرك هذا شأن الله عز وجل قولي أرجو الله أن يكرمه ؛ لكن لقد أكرمك الله ومن أعلمك أن الله قد أكرمه.

((حَدَّثَنَا أَصْبَغُ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ

بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ))

هنا نقطة مهمة جداً أنت بشر ؛ لو أن الله سبحانه وتعالى امتحنك بمصيبة وهذه المصيبة آلمتك ؛ الألم لا يلغي صبرك ؛ الألم لا يلغي إيمانك ممكن تتألم ؛ ممكن تتألم ألم شديد ممكن تحزن وتبكي؛ لكن الله لا يحاسبك على بكائك ولا على حزنك ولا على شدة ألمك ولكن يحاسبك على هذا اللسان.

رجل له زوجة جيدة جداً توفيت ولها أخت عمرها يزيد على عمر زوجته بعشرين عام وهي باقية ؛ فاعترض وقال: كنت خذ تلك يا الله ؛ أحياناً يوجد اعتراض، لا يعرف حكمة الله عز وجل وهو بتفكيره المحدود أن هذه زوجته صغيرة ويجب أن تبقى معه وتلك كبيرة وليس لها زوج ؛ لماذا لم يأخذ تلك، هذا من ضعف الإيمان.

فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ ؛ المؤمن يقول الحمد لله ؛ أعرف رجل أصيب بمرض خبيث في أمعائه يقول لي الطبيب: لم يدخل عليه أحد ليعوده إلا بادره وقال اشهد أني راض عن الله ؛ يا رب لك الحمد ؛ ويقولون أن هذا المريض في المستشفى بقي ست أيام والمستشفى شعلة من النور ؛ والأطباء يتدافعون على خدمته والمرضين ؛ والتسبيح والذكر..و توفاه الله عز وجل، لحكمة بالغة بالغة جاء مريض آخر في الغرفة نفسها لكنه بعيد عن الدين قال لي: ما ترك نبي إلا وسبه ؛ يقرع الجرس لا أحد يلبيه والغرفة لها رائحة لا تقابل إلى أن فطص ؛ الله أرى الناس من هو المؤمن ومن هو غير المؤمن والمرض واحد والآلام واحدة.

إنسان يتلقى قضاء الله بالصبر والرضى ويرى حكمة الله ورحمته وإنسان يرفضه فقضية البكاء ليست مشكلة ؛ تبكي تتألم تحزن هذا من طبيعة البشر ولكن يحاسبك الله على هذا اللسان ماذا تقول هل تعترض والإنسان أحياناً ينطق بكلمة الكفر ولا يدري ماذا قال الصحابي الذي انتكث قال: لو كان محمداً صادقاً فيما يقول لكنا شراً من الحمر ؛ عنده ابن زوجة يحبه حباً جماً فلما سمع هذه الكلمة قال له هذه كلمة الكفر وما كان من أحد من بعد رسول الله أحب إلي منك والآن تكلمت هذه كلمة فتدبر أمرك إني إن ذكرتها فضحتك وإن سكت خنت الله ورسوله وتكلم للنبي ؛ طفل صغير ؛ والنبي استدعاه أول ما قال له قال ما قلت هذا كذب ؛ والصحابة وقعوا في حيرة هذا الطفل الصغير الذي يغدق عليه من النعم ويرعاه يخون زوج أمه أنه إلى هذه الدرجة ؛ فبكى

الطفل ودعا الله أن ينزل وحياً من السماء يصدق ما قال ؛ ما هي إلا دقائق حتى جاء الوحي وغشيت النبي غاشية فلما انتهى الوحي قال تعالى:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾

(سورة التوبة)

قال بل أتوب يا رسول الله وأنا كذبت وصدق هذا الغلام ؛ فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وأمسك الغلام من أذنه وقال: صدقت وفت أذنه وصدقك الله من فوق سبع سماوات.

فالإنسان لا يحاسب على بكائه هذه طبيعة البشر ولكن يحاسب على كلامه.

((حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ بْنُ الصَّيْدَلَانِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّقِّيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ إِسْحَقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا))

((حَدَّثَنَا أَصْبَغُ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ))

هذا الحديث يحير ما ذنبه الميت ؟ رغم موته كلما بكي واحد يعاقب ؛ هذا الكلام غير معقول ؛ لكن النبي بين اللهم صلي عليه ؛ أن المؤمن وهو في الجنة إذا رأى أهله يبكون عليه بكاءً شديداً يتألم لألمهم ؛ هو في حال طيب يتمنى أن لا يبكوا.

((حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ))

والقبر فعلاً يذكر في الآخرة.

هي أم كلثوم زوجة عثمان بن عفان الثانية بعد رقية ؛ له اثنتان ابنتا النبي الكريم رقية وأم كلثوم؛ الأولى ماتت والثانية ماتت وقال: لو عندي ثالثة لزوجتها إياك ؛ ولم يقل له أنت قدمك علينا شر ؛ هناك أناس جهلة لأن الموت ليس بيده ؛ أول واحدة موتها والثانية موتها، قال: لو عندي بنت ثالثة لزوجتها إياه.

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْنَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ فَقَالَ هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَنَا قَالَ فَانْزِلْ فِي قَبْرِهَا فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا فَقَبَرَهَا قَالَ ابْنُ مُبَارَكٍ قَالَ فُلَيْحٌ أُرَاهُ يَعْنِي الذَّنْبَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ (لِيَقْتَرِفُوا) أَيْ لِيَكْتَسِبُوا))

يقارف: أي يقترب من أهله.

تعلمون أن بمعركة مؤتة عين الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا زيد قائد أول وسيدنا جعفر قائد ثاني وسيدنا عبد الله بن رواحة قائد ثالث ؛ فذهب هذا الجيش والمعركة طويلة وخطيرة جداً ؛ سيدنا زيد قتل وأخذ الراية سيدنا جعفر قتل وسيدنا ابن رواحة تردد قليلاً على ذمة بعض الروايات وكان شاعر فقال:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
إن تفعلي فعلهما رضيت وإن توليــت فــقد شــقيت

وأخذ الراية فقاتل حتى قتل يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة: أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة ؛ ثم أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل وإني أرى مقامه في الجنة ثم سكت قليلاً ؛ فقلق أصحاب رسول الله على أخيهم عبد الله؛ قالوا: ما فعل عبد الله قال: ثم أخذها عبد الله وقاتل بها حتى قتل وإني لأرى في مقامه ازوراراً على صاحبيه.

مكانته هبطت درجة لأنه تردد ؛ وإذا واحد تردد في بذل نفسه للموت مقامه هبط ؛ فكيف الذي ما فكر أن يعمل عمل صالح ؛ ما فكر أن يطيع الله عز وجل أين هو.

وعندما جاء خبر سيدنا جعفر وله أولاد وخبر صعب جداً والنبي أراد أن يخفف وقع الخبر على أهله فذهب بنفسه ونقل لهم الخبر ؛ زوجته رأت وجهه فيه شيء فيه خبر غير سار ؛ فقلقت أشد

القلق قال: لقد استشهد ؛ وأطفال سيدنا جعفر ؛ القصة هنا مغزاها أنه أراد أن يخفف وقع الخبر على أهله فذهب رسول الله بنفسه إلى بيت جعفر وأخبرهم هذا الخبر

سيدنا زيد بن حارثة انطلق رسول الله أيضاً إلى منزله فلما رأته ابنته جهشت في وجهه؛ يعني بكت أجهشت ؛ تقول جهشت وأجهشت ؛ فانتحب النبي عليه الصلاة والسلام أي بكى معها فقال له بعض أصحابه ما هذا يا رسول الله ؛ فقال هذا شوق الحبيب إلى حبيبه.

سيدنا زيد كان عبد عنده وابن سيدنا زيد كان حب رسول الله ؛ شيء يحير عبد وأسامة ابن عبده؛ كان يحبه حباً لا حدود له وكان عليه الصلاة والسلام فيما تروي عائشة إذا اشتد وجده أكثر مس لحيته.

((حَدَّثَنَا صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ يَحْيَى بَعْضُ الْحَدِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) قَالَ أَمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ))

يعني الإنسان ينبغي أن يبكي وإذا لم يبك عليه أن يتباكى

((قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ قَالَ عَبْد اللَّهِ لَمْ يَقُلْ مِنَ الْبُكَاءِ إِلَّا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ))

((حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِرَاكِعٍ ثُمَّ رَكَعَ فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ثُمَّ رَفَعَ فَلَمْ يَكَدْ يَسْجُدُ ثُمَّ سَجَدَ فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَلَمْ يَكَدْ يَسْجُدُ ثُمَّ سَجَدَ فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فَعَلَ فِي الْأُولَى وَجَعَلَ يَنْفُخُ فِي الْأَرْضِ وَيَبْكِي وَهُوَ سَاجِدٌ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ وَجَعَلَ يَقُولُ رَبِّ لِمَ تُعَذِّبُهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ رَبِّ لِمَ تُعَذِّبُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ وَقَضَى صَلَاتَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا كَسَفَ أَحَدُهُمَا فَافْزَعُوا إِلَى الْمَسَاجِدِ))

((حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ح و حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ

وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ))

سؤال أيهما أشد ثقة بالله عز وجل النبي الكريم أم سيدنا الصديق ؛ العلماء قالوا سيدنا رسول الله دعا هذا الدعاء بلهفة خوف ؛ خوف أن يكون هناك تقصير من جهته بالإعداد لأن الله عز وجل قال:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٦٠)﴾

(سورة الأنفال)

وعندما الإنسان يقصر ينبغي أن يقلق على إنجاز وعد الله له ؛ سيدنا الصديق يراه رسول الله وهو سيد الخلق فكان مطمئن ؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام خاف أن يكون في المستوى الذي يقل عن الإعداد الصحيح.

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: شيبتني هود وأخواتها ؛ يعني هود والسور التي حولها لقول الله عز وجل:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)﴾

(سورة هود)

فالإنسان كلما ازداد خوفه ازداد قرباً من الله عز وجل وكلما نبض قلبه بالرحمة كان هذا دليل قربه من الله.

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٦ – ٩) : غضب النبي صلى الله عليه وسلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس السادس من دروس شمائل النبي عليه الصلاة والسلام واليوم باب في غضبه صلى الله عليه وسلم، أيها الأخوة الكرام لأن الإنسان مخير فكل شيء في حياته حيادي ومعنى حيادي أنه يمكن أن يكون لله ويمكن أن يكون للشيطان فهناك غضب للشيطان وهناك غضب لله، فالمؤمن لابد أن يغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل أما إنسان لا يغضب لا ينفعل ليس مؤمناً، ما أن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن إلا وتعبر عن ذاتها بحركة فإذا رأيت الحرمات تنتهك، إذا رأيت إنساناً يتطاول على الله عز وجل لابد من أن تغضب فكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه أبداً لكنه كان يغضب لله وهذا ما يميز المؤمن عن غير المؤمن يغضب ولكن غضبه لله .

أكثر الناس إذا يوجد تقصير في واجباته يغضب أما إذا رأى تفلت لا يغضب، المؤمن على العكس من ذلك إن رأى حرمة من حرمات الله انتهكت يغضب أما الأمور الدنيوية يتساهل بها .

((حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا))

أيها الأخوة:

معنى هذا الحديث أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين يعني إذا أمرت بأمر، إذا نهيت عن نهي يجب أن تفعله ولا ينبغي أن تقول أنا لست نبياً، من قال لك أنك كالنبي، النبي له مقام عند الله لا يعلمه إلا الله لكن الأوامر والنواهي منهج هذا المنهج يشمل جميع الخلق، الأمر والنهي منهج والمنهج مطبق على كل الخلق والدليل قال تعالى:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)﴾

(سورة هود)

الناس يتفاوتون بالعطاء أما بالاستقامة ينبغي أن لا يتفاوتوا ما يفعله أكبر ولي يجب أن يفعله أصغر مؤمن من حيث الأمر والنهي لأن كل أمر في بذور نتائجه بل إن العلاقة بين الأمر

ونتائجه علاقة علمية، علاقة سبب بنتيجة هذا الذي يليق بأمر الله عز وجل، إله خالق الكون يأمر معنى أمره له علاقة مع النتائج، الأوامر مبنية على خصائص النفس فكل إنسان خالف أمر الله عز وجل ظهرت نتائج سلبية في حياته من أجل سلامتنا وسعادتنا يجب أن نطبق منهج الله عز وجل بحذافيره حتى نسلم إذاً أي إنسان يدعى إلى طاعة الله يقول لك أنا لست نبياً ومن قال لك أنك نبي، من قال لك أن مقامك كمقامه ولكن هذه الحد الأدنى من السلامة تطبيق أمر الله عز وجل الحد الأدنى من السلامة فالذي يقول أن النبي الله غافر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر غضب النبي قال هذا ليس له علاقة بالموضوع إنا أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ومع ذلك هذا هو المنهج . فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

التكاليف على كل الخلق واستثناءات لا يوجد .

((حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ قَالَ كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَالَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ))

في عهد النبي اختلف الناس حول أحقية الكتاب ولكن بعد مضي فترة من الزمن صار الخلاف في الكتاب نفسه والذي يمزق الأمة هو الاختلاف فيما بينهم وذكرت لكم من قبل أن هناك اختلافاً طبيعياً أساسه نقص المعلومات

يأتي الوحي فيوضح قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢١٣)﴾

(سورة البقرة)

أما الخلاف الخطر والقذر هو الاختلاف الذي أساسه البغي والحسد قال تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾

(سورة آل عمران)

ويوجد اختلاف محمود اختلاف التنافس، نحن بين اختلاف طبيعي وبين اختلاف قذر واختلاف محمود، الاختلاف المحمود أن نتنافس هذا بالتفسير وهذا بالحديث وهذا بالعقيدة وهذا بالأعمال الصالحة وهذا بالتسليك إلى الله وهذا بالذكر قد نختلف اختلاف تنافس هذا محمود أما إذا اختلفنا اختلاف حسد هذا اختلاف لصالح الشيطان بالمناسبة إخوانا هناك نقطة مهمة جداً أحياناً تنشأ مشكلة من يقطف ثمارها الشيطان إذاً الباعث لها الشيطان يكن أن تعرف من الباعث لها من النتائج، لو حصل بين المسلمين مشكلة من هي الجهة الرابحة الأعداء أو الشياطين أو الكفار ما دامت الجهة الرابحة هم هؤلاء فالباعث إلى هذه الفتنة هؤلاء نفسهم فالإنسان لما يعمل عمل ينتهي إلى شق صفوف المسلمين ينتهي إلى تفرقتهم وإلى إضعافهم وإلى ذهاب ريحهم معنى ذلك انه يتحرك بأمر من الشيطان .

دائماً اسأل نفسك هذا الأمر تم لصالح من هل من صالح المؤمنين التفرقة؟ هل من صالح المسلمين أن نضعف ؟ لا فمن يحاول أن يضعف المسلمين أو أن يشق صفوفهم فهو يعمل قطعاً بوحي من الشيطان، فَقَالَ النبي إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ *

حاول عد للمليون قبل أن تفكر في شق الصفوف، ضمن الدين كثير من الفرق الإسلامية تعنتت وتمسكت ببعض الانحرافات ونشأت مشكلات وحروب هل هذا من صالح المؤمنين ؟

((حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لَاحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي قَالَ حُذَافَةُ ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِيَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الْحَائِطِ وَكَانَ قَتَادَةُ يَذْكُرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ هَذِهِ الْآيَةَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)))

أحياناً الإنسان يصل إلى الله، فإذا وصل إلى الله كفي وأحياناً هو بعيد عن الله ويريد أن يطرح أسئلة لا تنتهي، هذه الأسئلة التي لا تنتهي لو أنه وصل إلى الله لكفي لكن هو بعيد ويسأل ويسأل، أضرب على ذلك مثلاً الله عز وجل ذكر لنا قصة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فيها بعض التفاصيل بعض المواقف لكن ما فيها كل التفاصيل في تفاصيل الله عز وجل ذكرها وفي تفاصيل لم يذكرها، الأدب مع الله أن تسكت حيث جاء الإجمال وأن تبحث حيث جاء

التفصيل، لأنك إن فعلت خلاف ذلك أفسدت على الله حكمته، يعني أنا كنت أوضح هذا بمثل أستاذ في الجامعة له أسلوب أدبي أراد أن يبين لتلاميذه عوامل نجاح التجارة فقال لهم لي صديق اشترى محلاً تجارياً في مكان مزدحم واختار بضاعة أساسية واختار نوعاً جيداً وأعطى سعراً جيداً وما باع ديناً فربح وحقق نجاحاً كبيراً، الأستاذ هدفه أن يبين للطلاب أن موقع المحل مهم، موقع المكان والبضاعة الأساسية والمتقنة وعالية الجودة والسعر المعتدل والمعاملة الطيبة وعدم الدين، هذه عوامل نجاح التجارة فقام طالب وسأله هذا صاحبك يا أستاذ طويل أم قصير، هذا ليس له علاقة بالموضوع، أبيض أم أسمر فسأل أسئلة ليس لها علاقة بالموضوع إطلاقاً والدليل ما فهم المغزى، أحياناً في أسئلة إن طرحتها معنى ذلك أنك لم تفهم المغزى .

الإنسان حينما يصل إلى الله عز وجل تأتيه كل الأجوبة مثلاً الآخرة في أسئلة حول الجنة الرجل له حور عين والمرأة ما لها هل لها رجل من نوع الحور العين ؟ أنت اعمل للجنة وسوف ترى كل شيء .

إذا وجد قصر في الجبل ونحن في طريقنا إليه، الأولى أن نغذ السير كي نصل ونستمتع بهذا القصر أم أن نقف ونسأل ماذا يوجد في هذا القصر، يوجد أسئلة لا تقربك من الهدف ويوجد أسئلة تقربك من الهدف، فالنبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لَاحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي قَالَ حُذَافَةُ ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِيَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الْحَائِطِ))

ملخص هذا الحديث هناك أسئلة لا يراد بها القربة من الله وفي أسئلة يراد بها القربة من الله، دائماً امتحن السؤال من نوع الترف، من نوع أسئلة الفضول، من نوع الأسئلة العلم الذي لا ينفع هناك علم ينفع وعلم لا ينفع فدقق في ما تسأل .

((حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ سَمِعْتُ قَيْسًا قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا

فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ))

يوجد مقرب ويوجد مبعد، في مشوق وفي منفر، في موصل وفي قاطع، فالدين لا ينبغي أن يكون عبئاً وينبغي أن يكون رحمة ومغنم وإذا أثقلت على الناس صار عبئاً وأصبحت منفراً،وكان عليه الصلاة والسلام إذا صلى وحده أطال الصلاة أما إذا أم الناس كان أخفهم صلاةً،

((إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ))

ومرة كان يصلي الفجر عليه الصلاة والسلام، والفجر العادة يقرأ سور طويلة اللهم صلي عليه ومستيقظ من النوم مرتاح و وقت رحمة فإطالة الصلاة في الفجر مشروعة ومستحبة ومن السنة، فمرة سمع طفل يبكي فاختصر صلاته كلها رحمة بأمه وبالطفل .

دائماً اجعل الدين لطيف، أيام شاب يتوب إلى الله في بيت ويريد أن يصلي قيام الليل يوقظ الكل بحركات مزعجة دعك لطيف واجعل ظلك لطيف، حتى يحبوا الدين، أيام موظف في محل يريد أن يصلي يغيب ساعة ويجعل معلمه يغلي مثل المرجل، طالما سمح لك أن تصلي في المسجد غيب ثلث الساعة وعد وصلي صلاة معتدلة، يوجد إنسان ينفر من الدين ويوجد إنسان يحبب، ودائماً اجهد أن تكون لست عبئاً بل رحمةً .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا غضب احمر وجهه، حتى أنه يوجد قول للإمام الشافعي: من استغضب ولم يغضب ليس من بني البشر، الإنسان يغضب لكن المؤمن غضبه لله، وغير المؤمن يغضب لصالح الشيطان وترى لسبب تافه طلق زوجته، هذا غضب شيطاني تأخرت قليلاً الطعام لم يجهز طلقها .

قال ابن عباس أيرتكب أحدكم أحموقته ثم يقول يا بن عباس يا بن عباس، الإنسان بعد الخطبة أكثر الأسئلة عن الطلاق، عندك أطفال وهي جيدة ومستقر وليس هناك مشاكل وعفيفة لسبب تافه طلقها .

((حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازُ حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ قَالَ احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ حُجْرَةً فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهَا قَالَ فَصَلَّوْا مَعَهُ لِصَلَاتِهِ يَعْنِي رِجَالًا وَكَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَحْنَحُوا وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا بَابَهُ قَالَ

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغْضَبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ سَتُكْتَبَ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ))

تقع معنا هذه نفل، يصوم واحد يوم خمسة عشر بالشهر ويطبل الدنيا سيدي ألم تصم اليوم، هذه نفل يوجد إنسان معه مرض وإنسان يأخذ دواء وإنسان عنده عمل شاق، الفرض فرض والنفل نفل.

اللهم صلي عليه في بعض الغزوات هناك أناس صائمون وأناس مفطرين، ويوجد رخصة بالإفطار، الصائمون لم يأخذوا على المفطرين والمفطرون لم يأخذوا على الصائمون، يوجد طاقات واختلاف في القدرات، يوجد إنسان إذا عمل عبادة نافلة يملئ الدنيا ضجيج، أنت صمت صم واسكت .

النبي صلى الله عليه وسلم صلى في حجرة من حجراته قيام الليل وصلوا معه الصحابة ويوم لم يأت لأنه لو جاء لكان فرض في مشكلة والنبي مشرع ولو خرج كل يوم أصبحت فرض .

((احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ حُجْرَةً فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهَا قَالَ فَصَلَّوْا مَعَهُ لِصَلَاتِهِ يَعْنِي رِجَالًا وَكَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَحْنَحُوا وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا بَابَهُ قَالَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغْضَبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ سَتُكْتَبَ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ))

فالإنسان يصلي في البيت ويصلي في المسجد طبعاً النوافل والسنة من الأولى أن تصلى في البيت .

كعب بن مالك رضي الله عنه تخلف عن بعض الغزوات، تخلف مع ثمانين متخلف ويبدو له مكانة خاصة عند النبي .

((فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ))

أجمل شي في هذه القصة التوحيد ؛

فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ؛

ثمانين كاذب والنبي قبل كلامهم واستغفر لهم وبايعهم .

وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ فَقُلْتُ بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا .

الله أتاه قوة إقناع، يوجد شخص تعرفه كاذب ويقنعك، فقال له أنا أوتيت جدل يا رسول الله وأستطيع أن أقنع، ولو جلست عند أحد من أهل الدنيا لأقنعته ولكني والله علمت، أجمل شيء في القصة هذه الكلمة،

وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

الآن دققوا فقال عليه الصلاة والسلام، وسمع من ثمانين واحد،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ .

يعني كل كلام هؤلاء كان كذب، إذاً غضب النبي من أصحابه المخلصين، إذا واحد مظنة صلاح وغلط غلطة كبيرة يجب أن تغضب منه وتعاتبه لأنك تمون عليه .

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا الْفَزَارِيُّ وَعَبْدَةُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ))

لولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر .

رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللقطة،

((حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُنْبَعِثِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللُّقَطَةِ قَالَ عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا وَعِفَاصَهَا ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ خُذْهَا فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَضَالَّةُ الْإِبِلِ قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا))

يمكن لقطة بعد مضي سنة أن تأخذها إذا كنت فقيراً وأن تتصدق بها إن كنت غنياً على شرط أنه إذا جاء صاحبها بعد سنة ورفض تصرفك، عليك أن تؤديها له، يعني عليك أن تضمن ؛

((قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ خُذْهَا فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَضَالَّةُ الْإِبِلِ قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا))

لها خف تتحمل عطش شهر حتى يلقاها ربها، الإبل شيء ثمين جداً، هل صاحبها يتركها لا تخاف عليها، أما الغنمة يأكلها الذئب، فأنت خذها أو لأخيك أو للذئب، أما ضالة الإبل فمعها حذاؤها حتى يلقاها ربها .

أيها الأخوة الكرام:

ملخص هذا الدرس أن الغضب على نوعين غضب لله وهذا من غضب المؤمن وغضب للشيطان والمقياس هذا الغضب وهذه الثورة وهذه المشكلة من قطف ثمارها لصالح من، إذا كان غضبك لله يصبح صلاح في البيت وصار استقامة وحشمة، أما إذا كان غضبك أدى إلى طلاق وتشريد أسرة وإلى شق صفوف المسلمين هذا غضب لصالح الشيطان إذاً باعثه الشيطان .

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٧ – ٩) : جود النبي صلى الله عليه وسلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس السابع من دروس السيرة في رمضان ومع شمائل النبي صلى الله عليه وسلم واليوم باب في جوده صلى الله عليه:

((حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))

يعني رمضان موسم الإنفاق،

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا))

من شدة جوده وشدة حيائه ما سئل عن شيء قط فقال لا، وبعض الذين مدحوه قالوا: لولا التشهد كانت لاؤه نعم

يعني لا يخيب سائله أبداً.

((حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا))

((حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي حَلِيمَةَ مِنْ قَصْرِ الْأَحْنَفِ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ الْمَعْنَى وَاحِدٌ قَالُوا حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى غُفْرَةَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبِطِ كَانَ جَعْدًا رَجِلًا وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا بِالْمُكَلْثَمِ وَكَانَ فِي

الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ أَجْرَدُ ذُو مَسْرُبَةٍ شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ))

النقطة الدقيقة الآن أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في أعلى درجة من الصفات الذي يرتقي بها الإنسان، كان متكلماً أو بالتعبير الصحيح، كان متحدثاً لبقاً وكان خطيباً مفوهاً وكان عالماً وكان مجتهداً وكان قاضياً وكان قائداً سياسياً وقائداً عسكرياً وكان و كان...

إلا أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يمدحه أغفل كل هذه الصفات ومدحه بأخلاقه لماذا ؟ لأن الأخلاق أساسها كسبي أما طلاقة اللسان وقوة الذاكرة وقوة المحاكمة أساسها وهبي فأنت إذا منحت ابنك سيارة هل تستطيع أن تمدحه بين الناس بأن عنده سيارة يقال أنت أعطيته إياها أما حينما تقول للناس نال الدرجة الأولى في الامتحان هذا شيء كسبي فالله عز وجل أعطاه صفات تتناسب مع مهمته الكبرى في النبوة، فهذه الصفات الفطنة، سنقرئك فلا تنسى قوة الحافظة قوة المحاكمة هذه الصفات يحتاجها في أداء رسالته أما الشيء الذي يمدح به ويرقى به على كل الخلق أخلاقه ما هي الأخلاق ؟ الأخلاق عملية ضبط، في بالإنسان نوازع ضبطها هو الأخلاق. ما الفرق بين إنسان أخلاقي وإنسان لا أخلاقي ؟ يغضب فيبطش أما الأخلاقي يغضب فيحلم، الأخلاقي يأتيه المال فيمسكه بدافع طبعه، الأخلاقي يأتيه المال ينفقه.

الأخلاق في تعريفها الدقيق عملية ضبط نوازع فطرية هذا الضبط كسبي أساسه الاتصال بالله أساسه مجاهدة النفس والهوى وأنت حينما تريد أن تمدح إنسان تمدحه بما هو كسبي لا بما هو وهبي، هل تستطيع أن تمدح إنسان طويل ؟ الطول ليس له اختيار فيه منحه الله إياه، هل تستطيع أن تذم إنسان قصير ؟ لا تستطيع ليس له علاقة بهذا الموضوع، هل تستطيع أن تمدح إنسان وسيم ؟ الوسامة من الله، هل تستطيع أن تذم إنسان ذميم ؟ لا، فهذه الصفات وهبيه أما الصفات الكسبية تقول زوج أخلاقي، تقول تاجر أمين، تقول معلم مخلص، طبيب يخاف الله عز وجل فالصفة الكسبية يمدح بها الإنسان أما الصفة الوهبية لا يمدح بها الإنسان لذلك الله عز وجل أغفل كل الصفات التي تفوق بها النبي حينما مدحه وذكر صفة واحدة وقال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾

(سورة القلم)

((و حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ))

تعليق على هذه القصة الإنسان يحب النوال، يحب الجمال، يحب الكمال، أحياناً الإنسان يستعين على هداية الناس بإكرامهم، الأب الذي له أولاد، أب تحت يده أيتام إكرامهم قد يكون سبب هدايتهم لأن الإنسان عبد الإحسان يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ؛ يعني استعن على هداية الناس بالإحسان إليهم، النبي أعطاه غنم بين جبلين فقال أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء رجل لا يخاف فاقة.

((حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ))

لذلك بعثت لمداراة الناس والمداراة بذل الدنيا من أجل الدين والمؤمن الصادق يبذل، يبذل من ماله ومن وقته ومن جهده ومن عضلاته في سبيل تقريب الناس من الله والبخيل مكروه ولو معه الحق، والذي معه الحق وبخيل مكروه.

إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه، لن تستطيع أن ترفع هذا الدين إلا بسخائك وحسن خلقك لأن الناس متعلقون بالنوال. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجل جاء النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما عندي شيء ولكن ابتع علي.

اشتري شيئاً وسجله علي ديناً، هذا شيء ما كلف به الإنسان أبداً، لا تملك شيء واحد سألك تتدين وتعطيه.

قال فإذا جاءني شيء قضيته فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر.

هذا شيء يتكرر يعني أقرب الناس إليك يقول لك الله لم يكلفك فوق طاقتك تحمل نفسك فوق طاقتك، صح ولكن ما هي مرتبة السابقين ؟ مرتبة المتفوقين يعني يتقطع ليصل الناس يتعب ليريحهم يشقى ليسعدهم قال تعالى:

﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)﴾

(سورة طه)

شقي لإسعادهم.

فقال الرجل يا رسول الله أنفق ولا تخشى من ذا العرش إقلالا فتبسم عليه الصلاة والسلام وعرف البشر في وجهه لقول الأنصاري هذا ثم قال بهذا أمرت بهذا أمرت.

أيام ترى شخص راكض من باب الشفقة أو من باب أنت ليس مثله، تنصحه لا تحتاج إلى هذا ارتاح، هذا الإنسان راحته بالعمل وراحته بالعطاء، راحته بالإسراع إلى الله عز وجل فكل إنسان له مع الله موقف فالسابقون موقفهم العطاء، أحياناً في كلمة تستخدم دائماً تسمى الإستراتيجية المؤمن مركبة حياته على العطاء يسعده العطاء وفي إنسان أساس حياته الأخذ، النبي عليه الصلاة والسلام واحد قدم كتاب عن أخلاق النبي قال له: يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، ويوجد أقوياء أخذوا كل شيء ولم يعطوا شيئاً، هناك إنسان يأخذ كل شيء ليستمتع به ويوجد إنسان يعطي كل شيء ليسعد من حوله، هذا كهذا قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (١٨)﴾

(سورة السجدة)

يوجد إنسان يعطي ولا يأخذ وفي إنسان يأخذ ولا يعطي والأكثرية تأخذ و تعطي، المؤمن يأخذ ويعطي، أما الأنبياء ما أخذوا شيئاً حياتهم متقشفة حياتهم خشنة، إن أراد أن يصلي قيام الليل غرفته لا تتسع لصلاته ونوم زوجته لا بد من أن تنزاح جانباً، بيته صغير، بيت لبن متواضع صغير.

ما ذاق من متع الحياة التي يذوقها الأغنياء، لا في بيوت واسعة ولا مركبة واطئة ولا بساتين غناء ولا أموال بين يديه، لا شيء حياته أخشن حياة كانت فلذلك التفوق يحتاج إلى بذل.

كان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولكن ويسيب عليها، يعني يراها دين عليه، هذا شيء من عظمته اللهم صلي عليه، خدمه سيدنا ربيعة فبعد سبعة أيام قال: يا ربيعة سلني حاجتك، يعني إذا في إنسان في الأرض يجب أن تخدمه لفضله على الخلق هو رسول الله ومع ذلك رأى خدمته دين عليه وقال له: سلني حاجتك.

((حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ

الْحَارِثِ حَدَّثَهُ قَالَ اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَا وَاللَّهِ لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ قَالَا لِي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَاهُ فَأَمَّرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ فَأَدَّيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ قَالَ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَا تَفْعَلَا فَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِفَاعِلٍ فَانْتَحَاهُ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا فَوَاللَّهِ لَقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَفِسْنَاهُ عَلَيْكَ قَالَ عَلِيٌّ أَرْسِلُوهُمَا فَانْطَلَقَا وَاضْطَجَعَ عَلِيٌّ قَالَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ فَقُمْنَا عِنْدَهَا حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِآذَانِنَا ثُمَّ قَالَ أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَ فَتَوَاكَلْنَا الْكَلَامَ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ فَنُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ وَنُصِيبَ كَمَا يُصِيبُونَ قَالَ فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ قَالَ وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا تُكَلِّمَاهُ قَالَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ فَجَاءَاهُ فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَنْكَحَهُ وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ لِي فَأَنْكَحَنِي وَقَالَ لِمَحْمِيَةَ أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا وَكَذَا))

اقترحوا أن يذهبا إلى النبي شخصان يسألانه أن يكل إليهما جمع الصدقات ويؤديان إلى النبي هذه الصدقات ويأخذان أجرهما، يعني شابين جاءاه يطلبان وظيفة حتى يتزوجان من دخلها فالنبي عليه الصلاة والسلام هذان الشابان من آل هاشم لا تجوز لهم الصدقة فأعطاهم من الخمس وأنكحهما وجبر خاطرهما.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أُحُدًا عِنْدِي ذَهَبًا لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا يَأْتِيَ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ أَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنِّي لَيْسَ شَيْئًا أَرْصُدُهُ فِي دَيْنٍ عَلَيَّ.

يعني سياسته عليه الصلاة والسلام الإنفاق السريع.

((آحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ فَقِيلَ لَهُ نَعَمْ هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسُنِيهَا فَقَالَ نَعَمْ فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنْتَ سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ))

يعني هي صنعتها وقدمتها للنبي هدية، هل سمعتم من أحد طلب منه ثوبه ؟ هذه الجرأة سببها الرحمة.

وإذا سأله الملكين من ربك قال: الله ربي، من نبيك، هذا قميصه، أقوى شاهد، والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت.

((حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))

أعظم عطاء لا تأخذ مائة ألف وتكون صابر لأن هذا العطاء يعقبه عطاء، عطاء الصبر فيه عفة وفيه استغناء بالله وفيه عزة وهذا العطاء الصبر يعقبه عطاء وعطاء، بالمناسبة الإنسان أيام يشتهي الغنى على المؤمن لتواضعه وسخائه.

مرة حدثتكم عن قصة أخ من إخوانا يعمل في جمعية خيرية وكان ضمن مشروعه ينشئ مركز تدريب مهني للفتيات الفقيرات ليجعلهن عاملات منتجات دافعات للزكاة، هذا المركز يحتاج إلى بيت، يوجد رجل محسن قدم بيت ثمين ثمنه تسع ملايين وأقيم له حفل تكريم فكل الذين ألقوا كلمات أثنوا على هذا الرجل المحسن، أحد إخوانا ألقى كلمة نادرة قال: للأخ المحسن كان من الممكن أن تكون أحد المنتفعين من جمعيتنا وأن تقف في طابور طويل لنأخذ الهوية ونعطيك ثلاث مائة ليرة وتبصم ممكن ولكن الله سبحانه وتعالى من عليك فجعلك تعطي وكان من الممكن أن تأخذ.

كل إنسان يعطي ممكن أن يأخذ، زارني شخص وقال لي: أنا عندي حوالي مائتان دونم في منطقة مغتصبة في الجولان قال: أنا كل يوم أذبح خروف و مضافتي عامرة وصف وصف طويل عن حالته المادية وعن و عن غناه وعن مكانته ووجاهته ثم سألني هل من الممكن أن أعمل ناطور بناء بحوالي ألفان أو ثلاثة لا أملك ثمن طعام، الله عز وجل يمكن أن يجعل الإنسان يأخذ، الذين ينقبون في الحاويات بشر أليس كذلك من شدة الجوع يبحث في الحاوية ليأكل فتات الناس، فالذي يعطي يجب أن يذوب لله شكراً، وكان من الممكن أن يأخذ.

والفقير يكون ذكي أحياناً وليس كل ذكي يصبح غني، في أذكياء جداً وفقراء، يوجد شخص يلعب الناس ولا يملك أن يأكل هذا الكلام لفت نظر للذي يعطون ويقدمون ويبذلون وأنت تعطي اشكر

الله عز وجل أنه مكنك أن تعطي وكان من الممكن أن تأخذ، يوجد أشخاص أذكياء وأقوياء الرزق تقدير من الله عز وجل وهذا شيء ملاحظ، شخص عنده حركة واسعة جداً وذكاء بارع لا يملك شيء وشخص ببساطة معه أموال طائلة فالذي يعطي يجب أن يرى فضل الله عز وجل عليه لأنه يعطي لا أن يرى أنه يعطي، الله عز وجل مكنه أن يعطي.

إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك.

وبالمناسبة كلما ازددت تواضعاً لله عز وجل زادك الله غنىً وزادك الله إحساناً تقول السيدة عائشة تتحدث عن عبد الرحمن بن عوف تقول أخاف أن يدخل الجنة حبواً، لأنه غني فقال سيدنا عبد الرحمن: والله لأدخلنها خبباً وما علي إن كنت أنفق مائة في الصباح فيؤتيني الله ألف في المساء.

الغني الشاكر ليس أقل من الفقير الصابر، بالعكس الغني الشاكر أعماله كبيرة وقدرته على العمل الصالح كبيرة جداً بحسب حجمه المالي، والمال نعمة من نعم الله عز وجل والله سماه بالقرآن نعمة، والذي أتاه الله مال وينفق منه هذا له لله عليه فضل كبير والصابر له عند الله مكانة، أما الغنى مع التقوى شيء جميل جداً.

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٨ – ٩) : تواضعه عليه الصلاة والسلام.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس الثامن من دروس رمضان والدرس شمائل النبي والباب اليوم تواضعه صلى الله عليه وسلم .

((حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ امْرَأَةً لَقِيَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ قَالَ فَقَعَدَتْ فَقَعَدَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا))

سيدنا عدي بن حاتم كان ملكاً وجاء النبي عليه الصلاة والسلام فسأله عن اسمه فقال: عدي بن حاتم فرحب بي وانطلق بي إلى البيت قال في الطريق استوقفته امرأة ضعيفة فوقف معها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك .

كان عليه الصلاة والسلام متواضعاً لا يأنف أن يحدث أضعف الناس وأفقر الناس، أن يحدث الفقراء والمساكين، فهذا من تواضعه عليه الصلاة والسلام .

((حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا عَنْ أَبِي النَّضْرِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ يَعْنِي هَاشِمَ بْنَ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا))

علم أنهم يحبون أن يتبركوا برسول الله فاستجاب لهم .

((حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَسَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلِيِّ ابْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا))

يعني تمسكه من يده وهو يمشي وراءها، إنسان يتربع على أعلى مقام في الأرض بنت صغيرة تمسكه من يده فيستجيب لها ويتبعها، يعني في بالعظماء صفة لو أن طفلاً صغيراً جلس إليه

يرتاح إليه طبعاً الأشخاص العاديين كل إنسان له مقام وله سن هذا الإنسان لا يتفاعل ولا ينطلق إلا مع مثيله، تلاحظون في المجالس إنسان معه دكتوراه وله منصب رفيع لا ينفرد إلا مع مثيله مادام رآه دونه يأخذ موقف، النبي ما كان هكذا اللهم صلي عليه، طفل صغير إنسان بائس تراه يجلس إليه تنطلق أساريره يرحب به كأنه صديقه .

الآن طفلة صغيرة تمسك بيد النبي فتقوده فيتبعها .

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَرَجُلٌ يُنَاجِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا زَالَ يُنَاجِيهِ حَتَّى نَامَ أَصْحَابُهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى))

يعني الصحابة أدركوا أنه أمر خطير مادام النبي يناجيه ويهتم به فلزموا السكوت حتى صلى فيهم النبي عليه الصلاة والسلام، أحياناً يكون سبب وجيه ومبرر قوي لانشغال شخص عن شيء يومي، فكلما كان الإنسان قريباً نفسياً من الشخص المعني يدرك عليه الحكمة والمبرر .

((و حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ قَالَ أَبُو رِفَاعَةَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))

رجل غريب جاء يسأل عن دينه وما يدري ما دينه، يقبل يبادر يسرع

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أَبِي يَحْيَى الطَّوِيلِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَنْ زَيْدٍ الْعَمِّيِّ

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ وَإِذَا صَافَحَهُ لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا وَلَمْ يُرَ مُتَقَدِّمًا بِرُكْبَتَيْهِ جَلِيسًا لَهُ قَطُّ))

إذا صافح إلى أن ينزع المصافح يده، أما أن يبدأ النبي فينزع يده ما فعلها قط، إذا جلس إلى إنسان لا ينصرف عنه حتى ينصرف هذا الإنسان عن رسول الله، يوجد شخص كلمتان وانتهى التفت إلى قضية ثانية وأهمله .

((أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ غَزْوَانَ قَالَ أَنْبَأَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُقَيْلٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيُقِلُّ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ))

هو أساساً دخل سيدنا عمر على النبي عليه الصلاة والسلام فرآه مضجعاً على حصير وأثرت الحصير في خده الشريف فبكى عمر فقال: ما يبكيك يا عمر قال: رسول الله ينام على الحصير و كسرى ملك الفرس ينام على الحرير، هذا الذي يعبد النار هذا المجوسي ينام على الحرير وأنت رسول الله تنام على الحصير فقال يا عمر: أفي شك أنت من هذا إنما هي نبوة وليست ملكاً . أنت أخطأت حينما توهمتني ملكاً، أنا نبي لذلك يستنبط أن الملوك ملكوا رقاب الناس بقوتهم أما الأنبياء ملكوا رقاب الناس بكمالهم والأقوياء .

وكل إنسان إما أنه تابع لقوي أو أنه تابع لنبي فإن كنت من أتباع القوي تستخدم قوتك وترهب بها الناس وإن كنت من أتباع النبي تستخدم كمالك لتملك قلوب الناس فأنت بالقوة أو بالكمال، مؤمن بالكمال غير مؤمن بالقوة، بالقوة تملك الرقاب والقلوب لا تحبك أما بالكمال تملك القلوب .

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنِ أَبِي حَازِمٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ إِلَى ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ قَالَ وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَابَ طَعَامًا قَطُّ إِن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ))

الكراع يد الغنم ــ مقدم ــ إنسان أيام يدعى إلى طعام تراه كأنما أكل طعام حامض يعطي تعليمات وتوجيهات وملاحظات ترى صاحب الطعام صغر، عليه الصلاة والسلام ما ذم طعام قط.

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ))

وفي قول آخر ولا مدحه، يقول لك مثل الفستق مثل العسل يشهيك الطعام حتى، لا عابه ولا مدحه ولكن كان يحمد الله .

عن ابن عباس أنه قال: كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك .

((حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُسْلِمٍ الْأَعْوَرِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيُشَيِّعُ الْجِنَازَةَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ وَكَانَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَلَى حِمَارٍ وَيَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِرَسَنٍ مِنْ لِيفٍ وَتَحْتَهُ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ))

عبد في الدرجة الدنيا من المجتمع، يوجد أشخاص كثيرون له مقام إذا ما كان الشخص الذي داعيه من وزنه لا يستجيب يعدها إهانة له أن يذهب إلى مكان نائي في أطراف المدينة، يحضر حفل متواضع شيء يمس بكرامته إذا ما كان الدعوة بمستوى راقي لا يلبيها حفاظاً على مكانته .

عليه الصلاة والسلام كان يجيب دعوة المملوك، يعني أقل إنسان، إذا فرضنا مثلاً يعني بمقياسنا المعاصر وزير عنده حاجب ساكن بقرية من قرى ريف دمشق دعاه يأتي هكذا الأصول، هذا إنسان له مكانته و له كرامته عند الله عز وجل و لو المدعو عظيم و له مكانة عالية في المجتمع المفروض أن يستجيب له .

((حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُسْلِمٍ الْأَعْوَرِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيُشَيِّعُ الْجِنَازَةَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ وَكَانَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَلَى حِمَارٍ وَيَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِرَسَنٍ مِنْ لِيفٍ وَتَحْتَهُ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ))

السيارة مثلاً متواضعة جداً لا يركبها يقول لك هذه ليست مقامي ؛ إذا ما كانت سوداء لها وضع خاص لا يركبها مثلاً .

أما كان يركب الحمار أي مركب متواضع جداً، الآن مثلاً شاحنة يركب.

و كان عليه الصلاة و السلام يدعى إلى خبز الشعير فيجيب، و السيدة عائشة سئلت:

((حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ))

رجل آخر سأل السيدة عائشة:

((حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ))

ويوجد سؤال ثاني للسيدة عائشة:

((حَدَّثَنَا عَبْدَةُ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يُرَقِّعُ الثَّوْبَ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ أَوْ نَحْوَ هَذَا))

وفي رواية رابعة:

((حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ يَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ))

يوجد نقطة دقيقة:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قالوا حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ماذا أحدثكم كنت جاره وكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي فكتبته له فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .

هذه نقطة دقيقة جداً أيام أنت لك مستوى معين فكان الحديث في مستوى أقل من هذا تسكت، يشمئز أو هذا الحديث لا نريده، فكان عليه الصلاة والسلام يحفظ كرامة أصحابه، تحدثوا مثلاً بموضوع دنيوي لكن ما في معصية، بالأبنية أو بالأسعار ما كان يمنعهم وكان يشاركهم تأليفاً لقلوبهم وتواضعاً منه، أيام أنت تكون في موضوع أنت فوق مستواه بكثير، انطرح أصغى وشارك لأنه إذا شارك جعل نفسه معهم وإذا صمت يترفع جعل نفسه في برج عاجي .

((حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ))

هنا استنبطنا أن الامتثال أفضل من الأدب، الإنسان يحب سلوك التعظيم فإذا أنت نفذت رغبته أقرب له مما أن عصيت أمره وعظمته أقرب .

((أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي فَرْوَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ قَالَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ))

ما كان له كرسي خاص ولا ثياب خاصة واحد منهم بالوسط يجلس ليس له أي ميزة، أيكم محمد يقول: أنا وفي رواية قد أصبت وفي رواية ثالثة ذلك الوضيء .

((قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنِي مُحْرِزُ بْنُ عَوْنٍ وَعَبَّادُ بْنُ مُوسَى قَالَا حَدَّثَنَا قُرَّانُ بْنُ تَمَّامٍ عَنْ أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ عَنْ قُدَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَةٍ لَا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ وَزَادَ عَبَّادٌ فِي حَدِيثِهِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ))

يشرح يعني ناقة شقراء متوسطة، يعني حاجاته عادية كحاجات الناس ظن لا يوجد أشياء ملكية خاصة له، مثله مثل الناس .

((حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَفِيهِمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُاللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ يُرِيدُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

((حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ))

عنده غلام يهودي يخدمه مرض الغلام فالنبي زاره في بيته فقال له: أسلم فنظر إلى والده قال له: أطع أبا القاسم فجامله فقال: الحمد لله الذي أنقذه من الضلال .

((حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ))

((حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا و قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنْ مُوَرِّقٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ))

(حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

في معركة بدر رسول الله قائد الجيش سيد الخلق عمل مناوبة فكان يمشي ويركب، حينما يأتي دوره في المشي يتوسل صاحباه لأن يبقى راكباً فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا .

((حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أَوْ لَا تُسَاوِي ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ))

ثياب عادية جداً وحج على رحل مركوب رخيص،

قَالَ اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ .

أيام الإنسان يهمه مظهره الترتيب والفخامة والشيء الغالي لكي تتناسب مع مكانته فالنبي حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أَوْ لَا تُسَاوِي ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ

((حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَيَّارٍ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ))

يعني يبدأ هو السلام ومرة أركب صبي وراءه على الناقة ليفرحه ومرة رأى صبيان يلعبون فلعب معهم ورأى صبيان يتسابقون فدخل معهم في السباق تأليفاً لقلوبهم .

وكان يقول من كان له صبي فليتصابى له .

وكان عليه الصلاة والسلام يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم .

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ الْمَدَنِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي فَأَتَاهُ فَقَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ

فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ))

((حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَقَّتْهُ الْأَنْصَارُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ))

كان عليه الصلاة والسلام إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، تفقده فإن كان غائب دعا له وإن كان شاهداً زاره، يعني مريض، .

كان عليه الصلاة والسلام يتفقد أصحابه، إن كان غائب دعا له وإن كان شاهداً زاره وإن كان مريضاً عاده .

عدي بن حاتم عندما دفع له النبي وسادة ليس في بيته غيرها فقال: اجلس عليها فقال: أنت قال: بل أنت قال: فجلست عليها وجلس هو على الأرض .

دخل عليه رجل عندما شاهده فخاف فقال له: هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة .

((عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله كل جعلني الله فداءك كن متكئاً فإنه أهون عليك، يعني يأكل مضجع قال: فأصغى برأسه حتى كاد أن يصيب جبهته الأرض قال: لا بل أطل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد))

ومرة قال للسيدة عائشة يا عائشة: لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك وقال إن ربك يقرئك السلام ويقول: إن شئت كنت نبي عبداً وإن شئت كنت نبياً ملك فنظرت إلى جبريل أن ضع نفسك قلت: نبياً عبداً أجوع يوماً فأذكره وأشبع يوماً فأذكره .

ما رئي النبي عليه الصلاة والسلام أكل متكئاً قط .

وكان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض وكان يقول إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد .

((حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقَالَ جَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ السَّقْفُ وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ))

((حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ عَبْدِاللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))

((حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَابْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْمُخْتَارِ ح و حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام و حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ مُخْتَارَ بْنَ فُلْفُلٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُا قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمِثْلِهِ و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمُخْتَارِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ))

تواضعاً قالها له هو سيد الأنبياء ذلك إبراهيم .

والحمد لله رب العالمين

أحاديث رمضان ١٤١٨ – الشمائل – الدرس (٩ – ٩) : جوامع صفاته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

مع بداية الدرس التاسع من دروس السيرة ومع شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ومع جوامع صفاته، أم معبد حينما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام دخلا خيمة أم معبد قيل لها صفيه يا أم معبد فقالت:

رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه لم تعبه فجلة ولم تزري به صقلة، وسيم قصيم، في عينيه دعج، اتساع، وفي أشفاره وطف وفي صوته صهل في بحة خفيفة وفي عنقه سطع، امتداد، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن في حاجبيه، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر، ليس كلامه قليلاً ولا كلامه طويلاً كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا وإن أمر تبادروا لأمره محشود محفود لا عابس ولا مفند، يوجد شخص يبني علاقاته مع الآخرين على الانتقاد كلما رأى خللاً كبره و أشاعه بين الناس وهذه من أذم الأخلاق . محشود محفود لا عابس ولا مفند فقال زوجها هو والله صاحب قريش الذي ذكر من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه .

وفي نص آخر يوصف عليه الصلاة والسلام فيقال: إذا مشى مشى هوناً، إذا مشى كأنه ينحط من صبب فإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، له ملاحظات دقيقة، يسوق أصحابه يبدر من لقيه بالسلام، وسألت خالي صف لي منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: متواصل الأحزان

((حَدَّثَنَا أَسْوَدُ هُوَ ابْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مُوَرِّقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى أَوْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ قَالَ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ))

متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل الصمت، لا يتكلم من غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، كلامه ملء فمه وهذه من صفات الرجولة، يتكلم بجوامع الكلم لا فضول

ولا تقصير ليس بالجافي ما عنده موقف جافي، ولا المهين لم يبن علاقاته على إهانة الناس ولا على الترفع عنهم يعظم النعمة وإن دقت، يعني أحدنا مغمور بالنعم، نعمة البصر ونعمة العقل ونعمة السمع ونعمة الزواج والحركة والبيت والمأوى مغمور، كان عليه الصلاة والسلام تعظم عنده النعمة مهما دقت، الإنسان إذا شرب كأس ماء وهذا الماء أخذ سبيله إلى الخروج معنى أجهزته سليمة فكانت هذه النعمة كبيرة عنده إذاً تعظم النعمة عنده مهما دقت، لا يذم منها شيئاً، لا يعيب طعام أبداً ولا يعيب بيت همه الآخرة، يعني أشخاص كثيرون يدخل إلى بيت، ما مساحة هذا البيت يحرجك، مائة متر، هل يكفيك؟ صاحبه ساكت ماذا تريد أنت، يعيب الطعام ويعيب البيوت ويعيب الفرش دائماً نقاد هذه صفة بالإنسان تبعده عن الله عز وجل لم يكن يذم مذاقاً ولا يمدحه.

يوجد أشخاص فنان بمدح الطعام هذه طيبة وهذه مثل القشدة وهذه مثل القطر دائماً يثني على الطعام .

ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، الدنيا عنده صغيرة لا إن أقبلت تشغله عن الله ولا إن أدبرت يتحسر عليها فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء، غضبه لله، إذا انتهكت حرمات الله عز وجل لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه أبداً، ولا ينتصر لها، أما للحق يغضب وينتصر، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها وضرب راحته اليمنى ببطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، إعراضه كان غضب، جل ضحكه التبسم، تسمع ضحكات من الناس تخرج من جلدك ضحك فيه تطاول بشكل درج .

وفي نص آخر قال:

كان إذا آوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء، جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، يعني نحن أكثرنا إذا نجح بشيء هذا الشيء يطغى على أشياء كثيرة، أيام الإنسان ينجح ببيته على حساب عمله، ينجح بعمله على حساب بيته يعتني بأولاده على حساب أقربائه، يعتني بالناس من حوله على حساب أولاده، فأكثر الناس لا يوجد عندهم توازن .

كان إذا دخل إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء، جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزء جزءه الذي لنفسه بينه وبين الناس، لا يدخر عن الناس شيء، يؤثر أهل الفضل يعطيهم على قدر

فضلهم في الدين منهم ذوو الحاجة، منهم ذوو الحاجتين، منهم ذوو الحوائج، يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم، وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((لِيُبَلِّغ الشّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنّ الشّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ))

أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها .

يعني جميل جداً إذا أنت تعرف رجل منصف و مقتدر و يوجد له عنده مشكلة و لك دالة عليه أن تبلغ حاجة هذا الضعيف لهذا القوي فهذا من أجل الأعمال الصالحة، يوجد إنسان يتأفف و يستكبر يقول لك أنا لا أبذل ماء وجهي لفلان، لا تبذله لنفسك و لكن ابذله لغيرك هذا من أجل الأعمال فقال:

إنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة.

عمل عظيم أن تنصف مظلوماً، كان أصحابه يدخلون عليه رواداً و لا يفترقون إلا عن ذواق، أي كان عنده إكرام مادي و معنوي، يخرجون و قد أخذوا نصيبهم إما من إكرام مادي من طعام و شراب و إما من إكرام روحي علمي يخرجون و قد امتلئوا، الإنسان أحياناً يدخل لبيت لا يوجد فيه شيء، لا يوجد كلمة حق، لا يوجد نصيحة، لا يوجد حقيقة، كلام فارغ

((حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ الصّبّاحِ الْبَزّازُ حَدّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ زَكَرِيّا عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللّهَ فِيهِ إِلّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

أيام تسهر سهرة تخرج ممتلئ منتعش وتشعر أنك كسبت هذا الوقت الذي أمضيته في هذا البيت كان مفعم بالخير، مفعم بالعطاء، مفعم بالحقيقة .

كان عليه الصلاة والسلام يخزن لسانه، يعني الصمت عن علم وليس عن جهل، يوجد شخص ساكت لو تكلم لانفضح،فكان عليه الصلاة والسلام يخزن لسانه، يوجد عنده صمت لكن عن علم إلا فيما يعنيه، كان يؤلف ولا يفرق يقرب ولا يباعد، يعني ما دخل في موضوع وفرق بين اثنين، يوجد أشخاص هذا النمام لا يدخل الجنة، ينقل لفلان ما قاله فلان صار في شرخ بين شريكين بين زوجين بين صديقين بين جارين دائماً ينقل ما قال فلان في فلان، صار مهمته التفريق، النبي عليه الصلاة والسلام مهمته الجمع و التأليف وليس منا من فرق، يكرم كريم كل قوم ويوليه

عليهم، أي يعرف كل إنسان مقامه إذا كان يوجد إنسان كريم من حكمة النبي عليه الصلاة والسلام أنه يولي الكرماء على أتباعهم.

يحذر الناس ويحترس منهم، هذه صفات العقلاء ليس عنده سذاجة إلا أن احتراسه وحذره من الناس لا يحمله إلى أن يشفوا عنهم من غير أن يطوي بشره عن أحد، طليق الوجه عنده بشر لكل الناس لكن بالداخل يوجد حذر ويوجد أشخاص عندهم سذاجة يوجد شخص يلعب عليه، يتمسكن أمامه ويرق قلبه عليه ويعطيه وفي النهاية يكون نصاب، المؤمن أذكى من ذلك ليس بالخب ولا الخب يخدعه .

كان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره عن أحد، يتفقد أصحابه، إذا كان واحد أخوك سأل عنك لا تعدها تدخل في شؤونك من مكانتك سأل عنك، يغيب الإنسان إذا كان يغيب ولا أحد سأل عنه يعتب يقول أنا غبت شهر وما أحد خبرني ما لي قيمة عندكم، وإن سألت فلان أين هو يشعر أنه متابع، ليس موضوع متابعة موضوع مودة، أخوه غاب عنه معنى هذا أنه في مشكلة، لذلك إذا الإنسان سافر من السنة أن يبلغ إخوانه، يبلغ أصدقاؤه .

أنا جرت معي قصة ولكن دقيقة إنسان كريم أحبه كثيراً غاب عن المجلس شهر طويل ثم قيل لي أنه مريض ثم ذهبت لزيارته فعاتبني قلت له: أنت الذي ينبغي أن تعاتب قال: لما، قلت: عدة مرات غبت أشهر لم تخبر أحداً وكنت في العمرة فلما غبت هذا الشهر ظننتك في العمرة فالتقصير منك ولكن السنة أن تخبر من حولك أنني مسافر حتى ما يظنوا الغياب تقصير أو مرض فإذا أنت خبرت أنك مسافر صار إذا تغيب ولم تخبر معنى هذا أنه يوجد مشكلة، يتفقدوك فوراً، إذا الإنسان أحب أن يغيب يجب أن يعلم حتى لا يظن أنه بغيابه تقصير أو مرض .

يسأل الناس عما في الناس، أيام يكون في مشكلة راهنة قضية يعاني منها الناس يوجد شخص يتجاهلها كبر، هو لا يعاني منها يتجاهلها إذاً، أحياناً في مشكلات تعم معظم الناس إذا أنت لم تسأل عنها كأنك تعيش في برج عاجي، أما إذا سألت عنها وحاولت أن تحل بعض المشكلات أنت تعيش مع الناس صار في مشاركة والمشاركة فيها تواضع .

يحسن الحسن ويقومه، يوجد شخص كلما سمع قصة مؤثرة ينزعها لك ليس هذا قصده له قصد ثاني، يكون موقف بطولي موقف فيه شهامة وفيه مروءة مؤثر جداً، يقول: أنت أحسنت الظن فيه، إلا ما يعطي تعليق يفرغ هذه القصة من مضمونها، هذه صفة بالإنسان ذميمة، كان يحسن

الحسن و يقومه و يقبح القبيح و يوهنه، أي أحياناً الإنسان يغلط يمدح تصرف غلط، يمدح انحراف و هو لا يشعر هذا الطفل الصغير الذي أمامك إنسان مثلاً تارك صلاة، إنسان منغمس في بعض المعاصي تقول أخي و الله فهيم، لبق، مذوق، من أرقى الناس فالذين حولك أوهمتهم إذا كان تارك صلاة و لبق، تارك صلاة و مذوق، تارك صلاة ومن أكرم الناس، لم يعد هناك قيم ثابتة .

لكل حال عنده عتاد، الإنسان يكون أحياناً في مجال إكرام الضيف في أعلى درجة، في مجال مقاومة العدو بأعلى درجة من الجهاد، في مجال نشر العلم بأعلى درجة من العلم، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق و لا يجاوزه، أي هناك شخص يزيد في الحق، أعرف رجل رفض أن يرى حماته قال حرام، أنت مشرع أنت ؟ خالق الكون سمح لك أن ترى أم زوجتك، خيار أصحابه عنده أعمهم نصيحةً أعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة، أيام المنحرف يقرب القوي، يقرب الموالي له قد يكون الموالي له سيئ جداً أما النبي عليه الصلاة والسلام ما يقرب إلا الكامل، الأقوياء يقربون غير الكاملين يقربوا الموالين فقط، تعلن ولاءك الشديد يقربك على علاتك أما الأنبياء لا يقربون إلا الكمل وإذا الإنسان له أصحاب غير منضبطين يتهم بهم، كان عليه الصلاة والسلام من توجيهاته لا تصاحب إلا مؤمناً لو صاحبت غير مؤمن وصمت به .

كان عليه الصلاة والسلام في مجلسه لا يقوم ولا يجلس إلا عن ذكر، إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، أي الآن بالحفلات في حرج شديد كل إنسان يطمع أن يكون في الصف الأول و ذلك من أجل مكانته و إذا كان بالصف الثاني تنشأ مشكلة كبيرة جداً، مرة من باب الدعابة اقترحت على أحد من سيقيم حفل قلت له استأجر أرض طولها خمسة كيلو متر و اعمل صف واحد كلها ترضي الناس كلهم، الصف الثاني مشكلة والثالث مشكلة فالنبي سيد الخلق كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، يعطي كل جلسائه نصيبه، يعني إذا جالس بجلسة أيام يكون في هذه الجلسة رجل قوي أو رجل غني الأنظار نحوه والآخرين مهملين هذه ليس من أخلاق المؤمن، يجب أن يخص كل الحاضرين بنظراته واهتمامه وابتسامته، في إنسان يؤخذ بشخص له مركز ترى النظر كله له والباقون مهملون كلياً .

من سأله حاجة لا يرده إلا بها، يعني كثير صعب عليه أن يرد حاجة، من سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول، أنا ألاحظ إخوان لا يوجد عندهم إمكان أن تساعده المفروض أن تكون لطيف معه بين اعتذارك الطبيعي، ما في هذه ما في لا تليق بمؤمن، في كلام قاسي وفي كلام

يجرح الأولى إذا ما عندك إمكان أن تنفذ له رغبته أن تقف موقف لطيف منه وبين عذرك لأن هذا أيضاً جبر خاطر .

قد وسع الناس بسطه وخلقه إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، يعني كل إنسان له طاقة معدودة ولكن يسعهم بأخلاقه، الناس صار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، يتعاطفون فيه متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، يؤثرون ذا الحاجة، الطفل الصغير يجب أن يكون في المسجد محترم جداً لأن هذا بيت الله، مرة تكلمت إلى واحد كلمة لفتت نظره قلت له أنا ابنك يهمني أكثر منك قال: ما السبب، قلت له أنت مضمون أما ابنك أمامه ألف منزلق فإذا أكرمته في المسجد وضممته إلى المسجد وشعر أن له قيمة في المسجد، كان النبي الكريم مرة جالس إلى جانبه غلام عن يمينه والضيافة كما تعلمون تبدأ من على يمين رسول الله فقال له يا غلام أتأذن لي أن أعطي الذي عن قال له: لا والله لا آذن لك، طفل صغير تمسك في حقه أن يشرب بعد رسول الله والطفل كان محترم جداً عند رسول الله، والطفل لا تراه صغير هذا رجل المستقبل قد يكون أكبر داعية، قد يكون أكبر مصلح اجتماعي وقد يكون علم من أعلام الأمة فإذا تلقى بصغره مودة واحترام والجامع محبب له معنى هذا ضمنته والآن أخطر من الكبار تعليم الصغار لأن الصغار أمامهم خيارات كثيرة جداً، وبصراحة أقول لكم يمكن شمة من صديقه ينتهي والآن يوجد مخدرات من أول شمة، ممكن فيلم واحد فيديو ينهيه، ممكن صاحب سوء يحطمه للنهاية فأنت لك مصلحة أن يكون ابنك معك دائماً في مجالس العلم ويجب أن يكون محترم جداً مكرم جداً وهذا جزء من أعظم الأعمال الصالحة أن تكرموا الصغار، أنا من باب الدعابة بالعيد إخوانا نستقبلهم ولا زلنا نقدم للصغار قطعة حلوى وعيدية ففي طفل صغير قال لأمه هذا الشيخ أنا أحببته أريد أن أزوره دائماً، الطفل عبد الإحسان وأنا الكلام هنا أقصد أطفالكم أهم منكم أحضروهم معكم إلى المسجد وهم عندنا أغلى منكم والسبب أنه أنتم مضمونين وهم مز الق كبيرة تنتظرهم .

كان عليه الصلاة والسلام دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش، أيام الإنسان يغضب يصدر صوت منه ترتعب منه، لا صخاب و لا فحاش و لا عياب، ليس من المعقول إنسان أن يسب سباب فاحش، كثير من المسلمين كلامهم بذئ، كلام فاحش إذا غضب يخرج منه شيء كان وشيء ما كان، شيء يسمع وشيء لا يسمع، والإنسان انضباطه عند الغضب كل الناس جيدين بالهدوء، أما عند الغضب ماذا تفعل .

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ترك نفسه من ثلاثة أشياء من الرياء والإكثار ومما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته .

فلان طلق زوجته لماذا طلقها ؟ ماذا تريد أنت، لا يوجد نصيب، لا يوجد سبب منها السبب يريد أن يبحث عن الأسباب وينشرها، هذه الصفة بالإنسان ذميمة .

((حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ قُرَّةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ))

لا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، يعني كل علم لا يبنى عليه شيء لا قيمة له، يعني أخ أحب أن يتقصى مرض رسول الله الذي توفي فيه، هل يا ترى مرض سحايا بدأ يأخذ السخونة والصداع و الغيبوبة أنا قلت له هذا الموضوع لا فائدة منه إطلاقاً، لو حدثتنا عن توجيهاته الصحية أفضل بكثير نستفيد منها، أما مرض وانتهى به إلى الموت هذا المرض ليس له فائدة عندنا، أدى مهمته وأنهى حياة الإنسان وفي مرض الموت هذا لا بد منه وفي مرض غير مرض الموت يرجى منه الشفاء، مرض الموت لا رجاء منه لأنه ينتهي به الأجل، فكل علم دخل النبي إلى المسجد رأى رجل وحوله ناس قال: من هذا قالوا: نسابة قال: وما نسابة قالوا: يعرف أنساب العرب قال: هذا علم لا ينفع من تعلمه ولا يضر من جهل به .

يعني علمنا أن هناك علوم لا فائدة منها وقتك ثمين جداً أمضي هذا الوقت في علوم ذات جدوى .

لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا إذا فيما يرجى ثوبه، إذا تكلم أطرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير و إذا سكت تكلموا، يعني ما كانوا ينفرد بالحديث اللهم صلي عليه، أصحابه يتكلمون ويسألوه ولكن في أدب وفي نظام، إذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلموا .

ولا يتنازعون عنده الحديث، هذا من أدبهم العالي، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، يضحك مما يضحكون، أيام تنشأ طرفة في جلسة يضحك الحاضرون، يأخذ شخص هيبة يبقى عابس، هذا ليس كمال، إذا صار قضية مضحكة ضحكك مع البقية دليل تواضع ودليل مشاركة . كان عليه الصلاة والسلام يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون، يوجد شخص لا يهزه شيء، فإذا كان شيء يلفت النظر كان عليه الصلاة والسلام يتعجب معهم .

يصبر للغريب على جفوته في منطقه، قال: يا محمد اعدل قال: ويحك من يعدل إن لم أعدل .
قال له أعطني من هذا المال ليس مالك ولا مال أبيك، قال: صدق إنه مال الله .

في أشخاص عندهم قسوة وفظاظة غير محتملة، كان عليه الصلاة والسلام يحتمله .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ وكان لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، يقطع حديثك خمس مرات ويقول بلا مقطوع عن حديثك ويقطع حديثك .

من صفاته الكريمة ولا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم منه، هل تستطيع أن تفعلها، إذا حولك مائة شخص، خمسمائة، وكل واحد يظن نفسه أقرب الناس لك وصديقك الأول هذه تحتاج إلى كياسة وإلى رحمة بالغة، من جالسه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجة لم ينصرف إلا بها .

كان إذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، وكان أحد الصحابة يقول ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع من مشيه من رسول الله كأن الأرض تطوى له، إن لنجهد أنفسنا وإنه غير مكترث من شدة عزيمته، يعني جسمه كان بأعلى درجة من، يسمونها اللياقة، لما ركب الناقة وجاء دوره في المشي، وهو عامل نفسه كجندي من الجنود قال: كل ثلاث على راحلة وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، فركب هو وجاء دوره في المسير توسلا أن يبقى راكباً قال: لا ما أنتما بأقوى مني على السير ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر .

تقول السيدة عائشة تسابقت أنا ورسول الله فسبقته فلما ركبني اللحم سبقني، يعني هي سمنت وهو لم يسمن، حافظ على لياقة جسمه، طبعاً هو قدوة لنا .

كان إذا مشى مشى مجتمعاً ويعرف بأنه مشي ليس عاجز ولا كسلان، يوجد شخص يجر رجله جر يرى متهالك عاجز كسلان، همته عالية والمؤمن لا يشيخ أبداً دائماً شاب .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس